المنسوف
رواية
شريف أحمد مدعى

وعد المنبوذ

رواية

شريف أحمد مرعي

مؤسسة الأمة للنشر والتوزيع
٢٠١٩م - الطبعة الأولى - ١٤٤٠ هـ
كافة الحقوق محفوظة للمؤلف

اسم الكتاب : وعد المنبوذ (رواية)

اسم المؤلف : شريف مرعي

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق: ٧٣٦٦/ ٢٠١٩

الترقيم الدولي : ٢- ٤٩٠ – ٧٨٣ – ٩٧٧ – ٩٧٨

الناشر : مؤسسة الأمة للنشر والتوزيع

الراعي : Kalifa Foundation Investment

سنة النشر : ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

رقم الطبعة : الطبعة الأُولى

مراجعة لغوية: أ. هيثم شعبان السيد

تصميم غلاف : رضوى محي الدين محمد

تنبيه

جميع الحقوق محفوظة

الناشر

مؤسسة الأمة للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية

هواتف :: ٣٧٩٨٩٨٨ - ٠٤٨ - ٠٠٢

المبيعات :: تحويل داخلي ١٣

الفاكس :: تحويل داخلي

إدارة النشر :: ٠٠٢٠١١٤٢٠٢٢١٧٤

الطبعة الأُولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

كافة الحقوق محفوظة

مؤسسة علوم الأمة للاستشارات الثقافية

وعد المنبوذ | شريف مرعي

مُقدمة

عزيــزي الحــظ العثــر، الــذى لم يفــارقني طــوال حيــاتي حتــى أصبحت لي الصديق الأقرب.

لأنــى لم أعــرف في حيــاتي غــيرك؛ رافقــتني منــذ اللحظــة الأولى وحتــى هــذه اللحظــة الحاليــة، نجحــت في إشــباع رغبــاتي باليــأس والإحبــاط، وأظلمــت طريقــي كُلمــا ســطع بــه ضــوء حلــم جديد!

هل تحبنى إلى هذه الدرجة؟!

أم أنــك تخــاف الوحــدة إذا وجــدني الحــظ الجيــد، تخــاف أن تصــبح مهملًا من دون هدف لا يشعر بك أحد.

أريد أن أخبرك بشيء.

لقــد ســئمت مــن تتبعــك لــي، أنــا لســت الوحيــد في هــذا العــالم الــذى يمكــن أن يصــبح صــديقك، هنــاك الكــثير غــيرى موجــودون في كــل مكــان يفكــرون بــك في كــل لحظــة مــن حيــاتهم، وأنــت بالنســبة لهــم الوســيلة الوحيــدة للــهرب مــن فشــلهم وكســلهم، ومــن دونــك لا يجــدون ســتارًا يختبئــون خلفــه مــن قســوة هــذا العــالم الذى لن يدوم طويلًا.

أحب أن أخبرك أنني لم أعد واحدًا من أتباعك بعد الآن، ولن أستسلم مجددًا لرغباتك وأهدافك، إن كان هدفك أن تجعلني ذلك التابع المخلص لك فأنا آسف كل الأسف لتخييب ظنك؛

لأنني قررت منذ هذه اللحظة أن أكون عدوًا لك، وأن أدمر كل أهدافك، أمنع رغباتك التي لا تفعل شيئًا سوى تدمير حياتي.

سأقول لك تحذيرى الأخير:

إما أن تتركني بسلام، وإما أن أجعلك تتذوق من كأسك التى لم يسبق لك أن تذوقت منها؛ لأنك أيضًا لم تعرف شيئًا غيره، صدقني أنا فعلًا أشفق عليك، ولكني لن أتمني لك حظًا موفقًا هذه المرة.

***

بعد مُنتصف الليل:

- كانت هذه كلمات "وعد" الذى قرر أن يغير مصيره ويتصدى لحظه العثر.

وقف على سطح المنزل الذى به غرفته يمسك بيده زجاجة تحتوى على رسالته الأخيرة التي كتبها لحظه العثر.

نظر "وعد" نظرة عميقة فى السماء يحدق فى ذلك القمر المكتمل، ويتأمل فى ملامح تلك الفتاة التى رآها كلما تأمله، وقال له:

لا أعرف إن كنت سأراها مرة أخرى، ولا أعرف كيف ستكون نهاية الطريق الذى يأخذنى، لكن كل ما أعرفه أننى لن أستسلم له ثانية، ومع اكتمالك اليوم أعدك أننى سأكون أفضل.

سمع "وعد" صوت القمر يأتيه من بعيد قائلًا:

مع اكتمالى اليوم تكتمل نهاية استسلامك، وتبدأ رحلتك التى ستكتب نهايتها بنفسك.

انتفض الفتى الذى اعتقد أن عقله يضطرب ويجعله يسمع صوت القمر يتحدث معه.

دخل غرفته، وقام وارتدى ملابسه، وانطلق عازمًا على الخروج، لكنه تذكر كلبه الذى أحضره مؤخرًا ويعيش معه فى غرفته، لقد حان الوقت لتقديم الطعام لذلك المخلص كبير الحجم، وتذكر أنه أصبح محاربًا للحظ العثر.

ولن يترك له صديقه ليستحوذ عليه.

عاد "وعد" مسرعًا وأحضر له الطعام، ونظر له مبتسمًا قائلًا:

لا تقلق يا صديقى لن أنسى طعامك مرة أخرى.

فنظر له الكلب سعيدًا يهز ذيله، ثم بدأ فى تناول طعامه.

عاد مرة أخرى ينطلق فى طريقه، وخرج من الغرفة ليذهب ويلاقى قدره.

كان "وعد" يحب التجول دائمًا بعد منتصف الليل، لقد كان الجو هادئًا، والسماء صافية، والقمر مُكتملًا يلقى بضوئه فى جميع الأنحاء يملأ القلوب بالسكينة والراحة، ونسيم الهواء يداعب وجهه المبتسم، والصمت يخيم على الطريق الخالى تمامًا من المارة والسيارات.

ذهب الفتى إلى أقرب مكان يجد فيه البحر؛

لأنه يعتبر البحر أقرب صديق له، ودائمًا ما يستمع لحديثه من دون أن يقاطعه، ولا يشعر بتلك الراحة سوى معه.

ظل يمشى مباشرة من دون أن ينظر خلفه حتى وصل إلى مكانه المفضل وجلس على الصخرة التى اعتاد الجلوس عليها

دائمًا، وخلع حذاءه ووضع قدمه فى الماء، وأخذ نفسًا عميقًا ثم بدأ يروى للبحر كل ما حدث معه فى الفترة الأخيرة، وقراره بالتصدى لحظه العثر، والقمر الذى تحدث إليه، وبعد أن انتهى من حديثه ألقى الزجاجة التى تحتوى على الرسالة بكل قوته، فانطلقت الزجاجة بعيدًا لتهبط بقوة وترتطم بسطح الماء مخلفة وراءها دوي صوت ارتد فى كل الأرجاء، ومع لحظةاصطدامها بسطح الماء انتفض متذكرًا كل أحداث حياته منذ اللحظة التى غيرتها تمامًا.

ونظر فى البحر ليجد وكأنه تحول إلى شاشة عرض عملاقة تعيد له أحداث حياته وذكرياته كأنها المرة الأخيرة التى سيراها فيها أو يتذكرها.

نظر "وعد" محدقًا فى المياه التى رأى فيها نفسه طفلًا مدللًا بين أسرة صغيرة هادئة تتكون من أم وأب وأخوين أكبر منه سنًا، ورغم ذلك كان يعانى هذا الفتى الصغير المدلل من الوحدة بسبب فارق العمر الكبير بينه وبين أخويه ووالده، كانت والدته هى أقرب من يكون إليه، وكان يحب الحديث معها كثيرًا، فهى دائمًا ما تستمع إليه حتى النهاية بإنصات، ولم تكن تقاطعه أبدًا، بل كانت تحتضنه وتضمه إلى صدرها بقوة، وكان هذا كافيًا بالنسبة له.

حتى أتت اللحظة التى لم يكن يتوقعها وهو يسمع تلك الأصوات العالية، وكأن هُناك من يتشاجر فى الخارج أمام غرفته، لكنه كان يميز من وسط هذه الأصوات صوت أمه وهى تبكى، فانطلق مسرعًا ليرى ماذا يحدث فوجد باب غرفته مغلقًا من الخارج.

وضع أذنه على الباب ليكتشف ما يحدث فى الخارج، ولماذا تبكى والدته!.

كانت الأصوات كثيرة ومتداخلة وعالية جدًا استطاع أن يميز بعضها والبعض الآخر لا، هناك شجار قوى يدور في الخارج، الجميع يصرخ فى وقت واحد ولا يستمع أحد للآخر.

استمر هذا الصراع مدة طويلة، تظهر أصوات وتختفى أخرى حتى انتصف الليل فاختفت كل الأصوات، وعمَّ الهدوء المنزل، وفتح أحدهم باب الغرفة فوجد والدته أمامه وقد أنهكها البكاء، ولكن هذه المرة لم يسألها عن سبب بكائها ولم يتحدث معها، فقط اكتفى باحتضانها؛ مما جعلها تبكى مجددًا، وارتفع صوت ضربات قلبها كثيرًا، وضمته إلى صدرها بقوة حتى استغرق كلاهما فى النوم.

- فى الصباح .. استيقظ "وعد" من نومه، فلم يجد والدته بجواره، عندها انتابه شعور قوى بالقلق، وكان يخشى أن يخرج من الغرفة ويبحث عنها؛ خوفًا من أن لا يجدها.

وسرعان ما تحول هذا القلق إلى واقع حينما وجد زوجة عمه تدخل عليه غرفته وتحمل بيدها وجبة الإفطار.

- كان "وعد" أحد هؤلاء الأطفال الذين يفهمون ما يدور من حولهم، من دون أن ينطق أحد بكلمة واحدة؛

لذلك لم يسأل زوجة عمه عن والدته، إلا أنه أزاح يدها بقوة وخرج مسرعًا من غرفته ليبحث عنها بنفسه، فوجد والده جالسًا فى الخارج وقد تغيرت ملامح وجهه عن المألوف، فلم يتردد للحظة أن يسأله بنبرة صوت حادة:

- أين أمي؟.

- ماذا فعلتم بها؟.

التفت له والده متعجبًا من هذا الأسلوب الحاد الذى يتحدث به "وعد" والذى لم يعتده منه قبل ذلك، ورد قائلًا:

لقد سافرت والدتك هذا الصباح.

فرد "وعد" قائلًا بالأسلوب الحاد نفسه:

ومتى ستعود؟

- ستعود بعد أيام قليلة.

كان رده بمثابة صاعقة هبطت على رأس هذا الصغير فهزت وجدانه؛

لأنه كان يعلم من نبرة صوت والده أن هذا غير صحيح، وأن والده لا يستطيع

أن يخبره بالحقيقة، وربما لن يرى والدته مرة أخرى.

ومع ذلك، حاول أن يصدقه آملًا أن تكون هى الحقيقة؛ لأن هذا ما يتمناه أن يكون.

مرت تلك الأيام بصعوبة، و"وعد" ينتظر عودة والدته بفارغ الصبر، لم يعد هناك من يستمع إلى حديثه، ولم يعد هناك أحد يحتضنه، ولم يهتم أحدهم بأمره من جديد، وظل يسأل الجميع عامين متتاليين السؤال نفسه من دون توقف:

أين أمي؟

متى ستعود؟

حتى أتى اليوم الذى قرر فيه والده الرد على سؤاله مرة واحدة وإلى الأبد:

والدتك رحلت عن دنيانا، ولن تعود مرة أخرى.

كانت تلك هى الصاعقة التى هبطت على "وعد" وأوقفت قلبه عن النبض، هذا الصغير الذى لم يتعد سبع سنوات، وكأن أحدهم أخرج روحه من جسده.

انطلق مسرعًا إلى غرفته، وأغلق عليه بابها، وظل يبكى وحده، ويصرخ

من الألم عدة أيام، لا يأكل ولا يشرب ولا يتحدث مع أحد.

وفى تلك الأيام أتاه ذلك الصوت الجميل وقال له:

لا تحزن فهناك دائمًا هدف من أوجاعك، فلا تيأس ربما هذا الأفضل لك، وشعر بتلك اليد الناعمة الدافئة على كتفه، فتوقف عن البكاء، وفتح باب الغرفة وخرج منها، فوجد والده جالسًا أمامها يبكى على صغيره الذى كاد أن يضيع منه، فذهب "وعد" إلى جواره واحتضنه قائلًا:

لا تحزن فكل شيء سيكون بخير.

لم يشعر "وعد" من احتضانه لوالده بالشعور الذى كان يتغلغل فى أعماقه حتى أطرافه عندما كانت تفعل ذلك والدته، فابتسم وهو يبكى، وقال فى نفسه:

"لن يعوضنى شئ يا أمى".

تغيرت حياة "وعد" كثيرًا بعد ذلك، فقد تحولت إلى ليال طويلة يقضيها وحيدًا يُفكر فى ذلك الشعور الذى قد سُرِق منه، ووالده الذى كان يحاول جاهدًا تعويضه عن ما فقده ولم يستطيع، لم تكن المشكلة في والده بل كانت المشكلة فى رأس ونفس "وعد" الذى لم يعد طفلًا كما كان.

مرت الأيام ببطء شديد، ولم يكن أحد يشعر بهذا الصغير، وكان أخواه

كل واحد منهما فى طريقه الخاص، ولا يهتم أحد سوى بنفسه، ربما

كان "زين" ـ الأخ الأكبر منه مباشرة ـ قريبًا منه أحيانًا.

لكن "وعد" لم يكن يهتم بكل هذا، لم يكن يفكر إلا فى ذلك اليوم الذى سيجد فيه ذلك الشعور من جديد ليعوضه عن خسارته الكبيرة، كان يتمنى أن تكون له أخت، لكنه نشأ فى ذلك البيت بعد رحيل والدته، ولم يكن هذا البيت يعرف عن النساء شيئًا، لقد كانت حياته قاسية.

***

السقوط فى الهاوية:

مرت بضع سنوات أخرى عليه، وهو ما زال يتخيل تلك الفتاة التى يبحث عنها لتعوضه عن كل ذلك، وعن تلك المشاعر الحبيسة بداخله، والتى لن يعطيها لأحد سوى تلك الفتاة.

بحث عنها "وعد" فى كل مكان، وأحيانًا كان يعتقد أنه وجدها، لكن هذا غير حقيقي؛

لأنه ما زال يبحث عنها، ومثل تلك الفتاة لن تأتى بهذه الطريقة، فالقدر وحده هو الذى سيكشف عنها فى التوقيت المناسب.

ظل يبحث عنها حتى أخذه شعور أول مرة عندما أحب تلك الفتاة التى تدعى "إيمان"، وكانت زميلته في الدراسة، لم يكن يفهم ذلك الشعور وقتها، لقد كان شعورًا مختلفاً غريبًا، لكنه جميل.

كان يحمر وجهه خجلًا كلما رآها، وكأن قلبه يخرج من مكانه وتصعد نبضاته إلى أعلى نقطة فى السماء عندما يسمع صوتها.

لم يخبرها أبدًا بشعوره نحوها واكتفى بتأمل ملامحها من بعيد، لم يكن يجيد فن التحدث، ولا يعرف ماذا عليه أن يخبرها؛ لذلك اكتفى بمراقبتها من بعيد كل يوم، وظل هكذا حتى انتهت تلك المرحلة الدراسية بعد سنوات.

فى اليوم الأخير بعد الانتهاء من الامتحان .. إنها المرة الأخيرة التى سيتمكن فيها من رؤيتها .. كان يطيل النظر إليها، فهو يعلم أنه لن يراها مرة أخرى.

وفى ذلك الوقت كان الجميع يودع بعضه البعض، حتى توقفت أمامه مباشرة تنظر فى عينيه وتبتسم، حاول "وعد" أن يخبرها عن شعوره نحوها فتلعثم لسانه حتى فقد قدرته على النطق وضربات قلبه ترتفع فى صدره، واحتبست أنفاسه تمامًا حتى اقتربت هى منه مبتسمة، وقالت:

لن أراك مرة أخرى .. هل يمكن أن أطلب منك شيئًا أخيرًا؟

فرد عليها ابتسامتها وقال:

يمكنك أن تطلبى منى أى شيء تريدينه.

فقالت: هل يمكنك أن تعبر الطريق معى، فأنا لا أستطيع العبور وحدى.

رد عليها وهو سعيد جدًا بطلبها هذا قائلًا:

- بالتأكيد يمكننا أن نعبر معًا.

ورغم أن هذا الطريق كان معاكسًا لاتجاه طريق منزله، فإنه لن يفوت فرصة مثل هذه.

أمسكت "إيمان" بيده فغمرت السعادة كل كيانه، وعبر معها الطريق، ثم تجمد مكانه، وأمسك يدها بقوة وهو يبكى قائلًا:

- لا أريد أن أترك يدكِ أبدًا، لا أستطيع أن أبتعد عنكِ، أنا أحبكِ.

ابتسمت "إيمان" ومدت يدها لتمسح دموعه بيدها الأخرى، وقالت:

- ولا أنا أريد أن أتركك أبدًا فأنا لم أحب أحدًا كما أحببتك.

ورسمت قبلتها على خده واحتضنته بقوة ثم ذهبت.

كان هذا الشعور بمثابة الحياة والموت معًا لهذا الصغير، فقد افتقدها فى اللحظة ذاتها التى امتلكها فيها، إنه الصغير الذى منذ رحيل والدته وهو يبحث عن ذلك الشعور الذى أصبح يعرف معناه الآن جيدًا، إنه الحب الحقيقى، وذلك ما شعر به عندما احتضنته تلك الفتاة التى رحلت ولن يراها مرة أخرى.

- لِمَ أنا؟!

لماذا عندما وجدت ذلك الشعور وتملك منى ذهب بهذه السرعة؟!

هل أنا المخطيء؟

أم أنها لعبة القدر معى؟

أعتقد أن هذا هو حظى العثر، يبدو أنه أصبح يتغذى على ما يؤلمنى.

عادت حياة "وعد" إلى ذلك الروتين الممل كل ليلة، والتى أصبحت أصعب، إنها المرة الثانية التى يفقد فيها حبًا حقيقيًا، بدأ الأمر بوالدته وانتهى مع حبيبته.

وتستمر الحياة .. فهى لا تتوقف عند شيء معين.

صنع "وعد" عالمًا من خياله يعيش فيه كل ليلة وحيدًا بعد منتصف الليل .. ذلك العالم

الذى تمنى دائمًا أن يعيش فيه .. عالم تدور أحداثه حول ذلك "الكائن الأثيرى" الذى يملأ الفراغ بشعور مذهل يحول أى شخص من حال إلى حال .. إنه الحب الحقيقي.

كان هذا العالم وتلك الحالة التى يعيشها "وعد" هى ما تجعله يتقبل فكرة الحياة حتى إن كانت قاسية، ومع مرور الوقت بدأ يتعطش لذلك الشعور مرة أخرى ، رغم أنه يعيشه كل ليلة فى خياله، إلا أن ذلك الشعور لم يشبع رغبته في أن يعيش تلك الحالة فى الواقع.

لقد كان يريد أن يشعر مرة أخرى بتلك اللمسة التى تدمر كل آلامه، وتجعله يشعر بالنشوة وبأنه ما زال حيًا يرزق.

عاد "وعد" إلى البحث عن تلك الفتاة الموعودة التى يمكن أن يعطيها كل شيء مقابل ذلك الشعور، ويخرج لها فيض المشاعر الدفينة بداخله، ولكن هذا غريب، يبدو وكأن القدر يستمع إليه، وكأن حظه العثر يعطيه ما يريد بشدة حتى يستطيع أن يسلبه إياه بسهولة ويحقق غايته.

فى الصباح الباكر .. أيقظه والده من النوم للذهاب إلى صفه الدراسي، فقد وصل هذا الفتى إلى مرحلة ما قبل الجامعة، وهذا أول يوم أيضًا سيرى فيه ما يغير حياته مرة أخرى.

خرج "وعد" من منزله فى تمام الساعة السابعة صباحًا مرتديًا زيه المدرسى ووالده

يودعه ويدعو له بالتوفيق، لكن الفتى لم يبتسم حتى أو يشعر بأى جديد، فقد أصبح يعيش حالة من اللامبالاة بأى شيء، ولكن سرعان ما ستتغير تلك المشاعر السلبية فى هذا اليوم.

انطلق "وعد" فى طريقه وعيناه لا تفارق قدمه، لقد كان ينظر إلى خطواته المتباطئة بتركيز، لا يحب أن ينظر إلى الناس أو يحتك بأى أحد، وفجأة وكأن أحدهم كسر باب المنزل واقتحمه من دون مقدمات.

ما هذه الرائحة؟!

إنها تبدو مثل تلك الرائحة التى كنت أشمها حينما كانت تحتضننى والدتى وأيضًاعندما احتضنتنى "إيمان".

هل يعقل أن تكون هذه رائحة الحُب؟!

تسارعت ضربات قلبه، وتباطأت خطواته أكثر، وهرب الدم من أطرافه، ولم يكن فى باله غير تلك الأسئلة.

- هل يمكن أن تكون "إيمان"؟
- هل أنا أتوهم فقط رائحة أمى؟
- هل أذهب بعيني لأرى من أين تأتى هذه الرائحة أم أتركها بالأسفل حتى لا ترد خائبة؟

كاد فضوله أن يقتله، ورفع عينه ليرى مصدر تلك الرائحة التى تغلغلت فى روحه.

- ما هذا؟!

- إنه نور قوى يخطف عينى.

هل يعقل أن يكون ما أراه هذا ملاكًا؟!

لم أرَ مثل هذا الجمال من قبل، وكأن نور الدنيا تجمع فى تلك الفتاة التى أراها.

يا ويلى، إنها تمشى أمامى مباشرة، لا أستطيع أن أبعد نظرى عنها.

ماذا يجب أن أفعل إذن؟

لا أملك إجابة لهذا السؤال.

كاد قلبه يخرج من مكانه وعيناه تلمع بلغة لا يعرفها إلا من يعرف ذلك الكائن جيدا .. إنه الحب، ومن النظرة الأولى.

هل أحاول التحدث إليها؟

لا، ربما تصدنى إذا فعلت هذا، فهى حتى لا تعرفنى.

لن أستطيع أن أحب مرة أخرى إذا فقدت هذا الوجه الملائكى الذى أراه، أريد فقط أن أراها كل يوم حتى أشعر بذلك الدفء فى قلبى من جديد، لن أحتاج إلى عالمى السري بعد الآن، فهذا الشعور أقوى من أن أعيشه فى خيالى بعد منتصف الليل.

ياسمين .. نادت عليها فتاة أخرى بهذا الاسم، فتقدمت نحوها مبتسمة وقبلتها، خفق قلب "وعد" أكثر كم يتمنى أن يقبلها ويحتضنها هو.

ظل يمشى وراءها يتبع خطاها ويتأمل فى كل تفصيلة بها، وهو لا يعلم أين يذهب!.

لقد نسى تمامًا صفه الدراسى، لكن سرعان ما توقفت الفتاة وصديقتها، لقد وصلتا إلى مدرستهما، التفتت الفتاة ونظرت فى عين "وعد" وهى تشعر بوجوده جيدًا، وابتسمت ثم دخلت إلى المدرسة.

لقد كانت تلك المدرسة بجوار مدرسته مباشرة، وكانت فى المرحلة العمرية نفسها، يبدو هذا غريبًا بعض الشيء، إنها تعيش بجوارى فى المنطقة نفسها، ومدرستها أيضًا بجوارى.

- ابتسم "وعد" وقال فى نفسه:

ما هذا الشعور؟ هل يمكن أن أكون قد وجدتها أخيرًا؟.

إن السعادة تغمر قلبى، إنه يرقص سعيدًا بهذا، لقد أحببت..

ظل الفتى يخرج كل يوم فى الموعد نفسه ليراها ويراقب خطواتها المضيئة من بعيد...

كان هذا الشعور أفضل شعور على الإطلاق أحس به، لكنه لا يمتلك الشجاعة الكافية للتحدث معها، حتى أتى اليوم الذى خرج ولم يرَها فيه.

استحوذ شعور بضيق الصدر على "وعد"، واحتبست أنفاسه وأظلمت عيناه.

أين وجهها الذى يضيء بنور الدنيا؟!.

لقد أظلم كل شيء فجأة.

كان فصل الشتاء فى ذلك العام شديد البرودة، لم يكن المطر يتوقف عن الهطول من السماء بغزارة، والمارة تتجمد أطرافهم من شدة البرودة.
لكن لم يكن كل هذا ليوقف هذا الشاب أبدًا، إنه يبحث عن نور حياته، لم يكن ليسمح لشيء أن يوقفه.

ظل "وعد" يخرج من منزله كل يوم بعد شروق الشمس مباشرة، ويقف أمام منزلها فى هذا البرد القارص، وتحت تلك الأمطار الغزيرة، ولكن ما كان ذلك ليوقفه عن هدفه، بل كان هذا الأمر يزيده إصرارًا، لقد كان يتحمل فقط من أجل أن يرى تلك الفتاة مرة أخرى، ياسمين، التى كتب اسمها على كل شيء يمكن أن تقع عيناه عليه، كان يرضيه رؤية وجهها ومراقبة خطواتها من بعيد فقط ليشعر بنور الدنيا.
ظل الفتى يكرر كل يوم ما يفعله حتى أثمرت جهوده وأشرقت شمس حياته من جديد، إنها هى، لقد أشرقت شمسها مرة أخرى عليه، بعد شهور عديدة من الانتظار لم تكن لياليها تمر، ولم تكن شمسها تشرق.
لكن انتظر!!.
هناك شيء مختلف هذه المرة.
إنها تنظر وتبتسم.
لقد احتضنتنى بنظراتها المحبة اللامعة الجميلة.
إنها تعبر من أمامى وقد علت وجهها حمرة الخجل التى زادت من جمالها، ذهب "وعد" خلفها مسرعًا وهو فى حيرة من أمره، إنه يموت شوقًا.
هل أتحدث إليها؟

وإذا تحدثت .. ماذا يمكننى أن أقول وكيف أبدأ الكلام؟.

لقد كنت أكتفى برؤيتها من بعيد، ولم أفكر أبدًا فى هذه اللحظة.

اكتفى "وعد" ذلك اليوم بمشاهدتها فقط، لم يكن يسمع أو يرى أو يشعر بشيء سواها ذلك اليوم حتى عاد إلى منزله وهو يفكر كيف سيجد الشجاعة ليتحدث معها، ظل يفكر طوال الليل حتى دقت الساعة معلنة انتصاف الليل، وسكن كل شيء، وعمَّ الهدوء المنزل تمامًا، وهنا فقط بدأت تظهر الفكرة فى رأسه.

سأكتب لها خطابًا أشرح لها فيه كل شيء وأخبرها بشعورى نحوها.

ذهب إلى غرفة "زين" وطلب منه ورقة ملونة مخصصة لذلك النوع من الخطابات، وبدأ فى كتابة خطابه، وعطر الورقة بعطر جميل، ووضعها فى حقيبة ظهره، ثم ذهب إلى النوم مباشرة؛ كى يراها فى أحلامه.

استيقظ "وعد" فى الصباح الباكر يملأه النشاط، إنه يومه المنتظر، سيتحدث معها أخيرًا بعد كل تلك السنوات، فقد كان فى عامه الأخير من مرحلة ما قبل الجامعة.

خرج الفتى من منزله مسرعًا فى الموعد نفسه كما اعتاد أن يفعل، انتظرها حتى أتت وألقت عليه تلك الابتسامة التى تخرجه من الواقع وتلقى به فى عالم نور الدنيا.

ذهب خلفها مسرعًا، وتردد كثيرًا قبل أن يوقفها، لكنه هذه المرة فعل.

توقفت "ياسمين" واحمر وجهها خجلًا ونظرت فى الأرض ولم تنطق بكلمة، وقف "وعد" أمامها واعتذر أنه أوقفها بهذه الطريقة، فأشارت

برأسها بأن لا مشكلة، وفى تلك اللحظة توقفت الكلمات فى حلق "وعد"، لا يستطيع أن يخرجها فدمعت عيناه لهذا، وتجمد مكانه، لا يستطيع الكلام، ولا يستطيع الحركة.

فتركته "ياسمين" واقفًا ورحلت، وهنا فاجأه الشعور بأنه يمكن أن يفقدها بسبب هذه اللحظة، فدبت فى جسده الطاقة من جديد وركض خلفها وأوقفها مرة أخرى، ونظر فى عينيها بحب، وترك لها الخطاب ورحل.

عاد "وعد" إلى منزله ولم يذهب إلى مدرسته، وقال لوالده إنه متعب ويريد أن ينام، ودخل غرفته وألقى جسده على السرير، وبكت عيناه مما حدث، وظل يلوم نفسه ويسألها، لماذا؟!.

لماذا لم تتحدث أمامها؟!.

لماذا تجمدت الكلمات فى حلقك ولم تخرج؟!.

استمر فى هذه المعاناة حتى صباح اليوم التالى.

خرج من منزله ووقف فى المكان نفسه ينتظرها حتى أتت، لكنها توقفت هذه المرة أمامه وكانت تبكى، فمد يده ومسح دموعها وسألها:

لِمَ هذا البكاء؟ هل بسبب شيء فعلته أنا؟

فنظرت فى عينيه، وقالت:

أنت لم تفعل شيئًا يبكينى، ولكن أبكي لأنه قد انطفأ نور حياتى.

لقد أحببتك منذ اللحظة الأولى التى رأيتك فيها، وكنت أنتظرك لتحدثنى، وكنت أيضًا أكتفى برؤيتك كل يوم ترمقنى

بتلك النظرات التى كانت تحيينى من جديد، حتى فى تلك الأيام التى لم أخرج فيها بسبب مرض أمى وسوء الطقس كنت أنظر إليك من غرفتى وأنت تقف تحت.

تلك الأمطار تنتظرنى فى كل تلك الأيام، ولم تيأس منى أبدًا وقد زاد ذلك من حبي لك، لقد أصبحت نور حياتى.

ابتسم "وعد" ونور السعادة يخرج من عينيه، وقال لها:

ولِمَ تبكين إذًا؟

فما أسمعه منك الآن أجمل من الخيال، فأنا أنتظر هذه اللحظة منذ سنتين.

فزاد هذا الكلام من بكائها، وقالت:

لقد قرر والدى أن نذهب إلى بلد آخر بالأمس لعلاج والدتى المريضة، ولن نعود إلى هنا مرة أخرى، لا أعرف كيف سأعيش من دونك، ولكن أعلم أنك ستكون معى في أى مكان أذهب إليه؛ لأنك الآن تملك قلبى.

ثم رسمت تلك القبلة على وجهه، واحتضنته بقوة وأمسكت بيده وهى تبكى وقالت:

- لن أنساك أبدًا.

***

أوجاع الروح:

- ما الذى تريده منى؟!

لماذا أنا؟ هل تسخر منى؟! لماذا تعطينى الأمل في ما أريد وفجأة تأخذه منى بمجرد حصولى عليه؟

تبًا لك أيها الحظ العثر، كيف يمكننى أن أبتعد عنك؟!.

لماذا لا تتركنى وشأنى؟!.

قال "وعد" هذه الكلمات وهو يصرخ ويبكى بحرقة على خسارته وألمه، وذهب فى طريق لا يعلم إلى أين سيأخذه، استمر فى السير وعقله يلومه، وقلبه يمزقه من كل اتجاه، وقد فقد الأمل تمامًا في حياته التى صارت بلا معنى أو هدف، وظن أنه يجب أن تكون هذه النهاية، وكان أكثر سؤال يحير باله المحطم الذى سيطر اليأس عليه، هو لماذا يأتينى الأمل من بعيد فأعتقد أنه لى وحينما أقترب منه يلمع أكثر، وبمجرد وصولى إليه يتحول إلى سراب؟!.

هل يسخر منى؟!.

أم أنا الذى أخطيء حين أعتقد أن هناك شيئًا يسمى "الأمل" منذ البداية؟!.

أنا أكره حياتى ولا أجد منها فائدة، ما الذى سيمنعنى الآن من ترك تلك الحياة المريضة التى تستمتع بأوجاع الروح، لقد أصبحت روحى أرضًا خاوية لا ضرر منها ولا نفع، إنها بلا قيمة، أنا بلا قيمة.

فلتكن النهاية إذن، ولتنهِ هذا الآن.

وبينما كان يتحدث مع نفسه بتلك الكلمات وجد نفسه بأعلى منحدر أسفله البحر، نزل المنحدر ووقف بجوار تلك الصخرة الكبيرة يحدق فى السماء التى أمطرته بسيلها، وأصبحت قطرات المطر ترتطم بسطح البحر تولد صوتًا رهيبًا وكأنه صوت طبول النهاية.

- مرحبًا أيها المستمع الجيد، لقد قررت أن لا أزعجك مرة أخرى بحكاياتى التى تنتهى دائمًا بأوجاع الروح، لقد انطفأ نور حياتى اليوم، ولم أعد أملك من الطاقة ما يعيدنى مرة أخرى، لا أعلم كيف وصلت إليك، ولكن أفضل ما حدث لى هو اليوم، فقد كنت الصديق الأفضل على الإطلاق، وأرجو منك اليوم أن تتقبل روحى وجسدى بهدوء كما كنت هادئًا معى دائمًا.

زادت قوة السيول التى تهبط من السماء وترتطم بسطح البحر بشكل عنيف، وراحت أمواجه تتصادم بقوة وكأنه يصرخ بوعد ويقول لا تفعل ذلك فهناك أمل دائمًا، لقد سمع تلك الكلمات بوضوح وكأنه أدرك فجأة لغة البحر، ولكن روحه لم تكن

تنصت لذلك، وتجاهل ذلك الكلام تمامًا، وتجاهل تلك الفتاة التى تقف خلفه والتى اشتم رائحتها الجميلة ولم ينظر حتى إليها وابتسم ثم أغمض عينه، وألقى بنفسه فى أحضان ذلك الصديق الثائر.

***

دموع ساكنة:

زينب،

هيا استيقظى أيتها الفتاة الكسولة، حان موعد الإفطار وذهابك إلى المدرسة، إنه يوم "زينب" الأول فى مرحلة ما قبل الجامعة.

هكذا قالت تلك السيدة ذات الوجه المبتسم ابتسامة محبة جميلة تزيل القلق من أى نفس كانت وتشعرها بالأمان.

حسنًا يا أمى لقد استيقظت، أنا قادمة، هل أيقظتِ إخوتى أم أفعل أنا؟

إنهم مستعدون للذهاب من قبلك أيتها الكسولة.

نعم يا أمى أعلم أنى كسولة جدًا.

ضحكت والدتها قائلة:

نعم، جيد أن تعلمي هذا، ولكن ما يشفع لكِ أنك دائمًا تتفوقين فى كل شيء رغم ذلك، هيا لا تدعى الحديث يأخذنا، تناولى إفطارك واستعدى.

حسنًا سأفعل ... قالتها "زينب" وهى مبتسمة لوالدتها، ثم تناولت إفطارها وغيرت ملابسها، ثم ذهبت مع إخوتها لتوصلهم إلى مدارسهم، ثم تذهب هى إلى مدرستها، نعم إنها الأخت الأكبر سنًا في هذه الأسرة.

إنها تلك الفتاة التى تمحو ابتسامتها كل أوجاع الروح، وهى أيضًا من يشعل غضبها نور الدنيا، إنها الأخت المحبة المسئولة التى لطالما لم تقصر فى واجبها نحو أسرتها، وتهتم بأمرهم جميعًا أكثر من اهتمامها بنفسها، ورغم هذا فهي متفوقة فى كل شيء، ولم تعنِ لها المشقة شيئًا أبدًا، ولم تسأم يومًا من الروتين الذى يصاحب حياتها، ولم تشتكي من أى شيء لأحد من قبل، لقد كانت مثل الأسفنجة التى تمتص كل الأوجاع ممن حولها، لكنها لم تتذكر يومًا أن تفرغ هذه الأوجاع فى شيء ما.

كان والدها رجلًا هاديء الطباع، وقد كان هو بئر أسرارها وصديقها الوحيد الذى يمتص كل سلبياتها ويحولها إلى قوة إيجابية بداخلها، ويشجعها لتكون الأفضل بين الجميع، وقد علمها كل ما هو صحيح، وحذرها من كل ما هو خاطيء، لقد علمها جيدًا فن التعامل مع الناس؛ لذلك كان يحبها كل من يعرفها، حتى وقت غضبها كان الجميع يتحملونها من دون تذمر كى لا يخسرها، فهى تلك الفتاة التى لا يوجد منها نسخة أخرى.

ذهبت "زينب" إلى المدرسة بعد أن أوصلت إخوتها، كان هذا هو يومها الأول فى تلك المرحلة، وكانت كعادتها تسيطر على الجميع بشخصيتها القوية، وتكون الكثير من الصداقات الجديدة كل يوم، أنهت يومها الأول بشكل جيد، وكان الجميع راضين عن أدائها، وأصبح الجميع يعلمون من هى تلك الفتاة الجميلة.

عادت الفتاة إلى منزلها بعد ذلك اليوم الطويل كعادتها تحكى لوالدها كل ما حدث معها بالتفصيل، وكان والدها دائمًا ما يعبر عن فخره بها بقبلة على جبهتها، ثم احتضنها قائلًا:

- هذه هى فتاتى الجميلة.

كان روتين الحياة اليومية يسيطر على تلك الأسرة السعيدة، ولم يكن يغيره سوى الدعابات التي يلقونها على بعضهم بعد كل عشاء، وتعلو أصواتهم وضحكاتهم، ويتناوش الإخوة الثلاثة فيما بينهم، بينما الأب والأم يشاهدانهم وهم يضحكون، فينظران إلى بعضهما البعض ليعلما أنهما قد نجحا فى تربية أولادهما وتكوين أسرة سعيدة، وهما فخوران بهم جدًا لكونهم يحبون بعضهم بعضًا، كان الوالد ينظر إليهم باطمئنان لأنه جعل تلك الأسرة مترابطة بقوة لن يفرق أفرادها شيء.

كان كل شئ يسير بشكل جيد، وكان هناك الكثير من الشباب يحاول التقرب من "زينب"، لكن لم ينجح أحدهم فى ذلك، لقد كانت تكتفى بأسرتها ووالدها، فهو الأقرب إليها، وكانت أيضًا فتاة عملية تعلم جيدًا ما يجب فعله وما لا يجب، وكانت تصد كل من يحاول التقرب منها عاطفيًا، فهى لا تمانع في أن يقترب منها أحد كصديق، ولكن ليس كأحد أبطال القصص الخيالية، فهى شخص واقعى جدًا، إنها ما زالت صغيرة على مثل هذا النوع من العلاقات، ومازال الكثير أمامها، كانت أسرتها تعطيها ما تحتاجه من حب باستمرار، لكن لكل شئ نهاية، بل يجب أن يكون لكل شيء نهاية خاصة به ليس أمرها بأيدينا.

مرّ ذلك العام على "زينب" مثل أى عام سبق، أنهت عامها الأول بنجاح، وذهبت لتعرف نتيجة امتحانها هى وإخوتها، وكالعادة كانت ناجحة بتفوق، وتم تكريمها لأنها نموذج لكل زملائها، ولكن فى هذا اليوم سيتغير كل شيء، إنها نهاية تلك المرحلة وبداية حياة مختلفة لم تكن "زينب" تتوقعها أو تحسب لها حسابًا.

عادت الفتاة المتفوقة إلى منزلها سعيدة ذلك اليوم وهى تستعد لطلب الهدية من والدها لأجل تفوقها، وهى تعلم فى داخلها أنها ستجد هديتها قبل أن تطلبها، فقد كان والدها يشعر بما تريد ويحضره لها قبل أن تنطق به، ووالدها واثق من تفوق فتاته الجميلة، ذهبت "زينب" راكضة إلى منزلها تعلو ابتسامتها وجهها حتى وصلت منزلها لتجد الباب مفتوحًا والكثير من الناس في داخله.

ما هذا؟!، لماذا أقارب والدى هنا جميعًا؟!.

تباطأت خطوات "زينب" تلك الفتاة التى كثيرًا ما تخشى الحزن.

لم تكن تريد أن تدخل خوفًا مما ستجده؛

فهذه النظرات على وجوه الجميع تدعو إلى القلق، هناك شيء آخر.

كانت هناك طاقة إيجابية تملأ روح المنزل بالسعادة، لكنها غير موجودة هذه المرة.

دخلت "زينب" وهى ترتعد خوفًا وقد تجمد لسانها.

هناك يد امتدت على كتفى .. إنه عمى، لماذا تملأ عينيه الدموع؟!.

قال لها عمها: كونى قوية يا بنيتى، يجب أن تكونى قوية.

نظرت إليه وهى لا تقوى على الكلام، لقد ملأ الخوف جسدها.

وعمَّ الجميع هدوء غريب وهم ينظرون إليها، وفجأة قطع هذا الهدوء صوت باب غرفة والدها يفتح وهناك من يخرج منها وكل الأنظار تشير إليه.

من ذلك الشخص الذى يخرج مع والدتى من الغرفة؟!.

يبدو أنه طبيب، والدتى تبكى، الحزن على وجوه الجميع، ماذا يحدث هنا؟!.

نظر إليها الطبيب بعد هذا السؤال وقال لها:

هل أنت "زينب" ؟

فنظرت إليه بحدة، وقالت: نعم.

فقال لها: والدك يريد أن يراكِ وحدكِ، لكن كونى حذرة؛ فحالته صعبة وفى مرحلة خطيرة، من فضلك حاولى إخفاء تلك النظرة عن وجهك، إنه ينتظرك الآن.

ثم أخذت والدتها وعمها جانبًا يتحدثان.

دخلت "زينب" مسرعة إلى غرفة والدها، ما هذا؟!.

إن أبى لا يكاد يستطيع أن يتحرك من مكانه، ماذا حدث؟.

نظر إليها والدها مبتسمًا وقد زالت لمعة عينيه، وقال لها:

لا تشغلى بالك يا فتاتى الجميلة بما حدث لى، أريد أن أوصيك بشيء أولًا:

لطالما كنتِ الأقرب إلى قلبى فى هذه الدنيا، لكن لا تقلقى سنتقابل مرة أخرى فى مكان أفضل من هذا، إنها مجرد البداية، ثم رفع يده داعيًا إياها لتجلس بجواره، فأسرعت وجلست وأمسكت بيده وهى تبكى وقالت:

ماذا بك يا أبى؟، لِمَ تقول لى ذلك؟ أنت لن تتركنى، صحيح؟.

- كيف أعرف ما يجب أن أفعل من دونك؟ كيف سأشعر بالحياة بعدك؟

قال لها: لا تقلقى يا عزيزتى سيكون كل شئ بخير، لقد أتت لحظتى، أنا ذاهب إلى مكان أفضل، نعم سأفتقدكم جميعًا ولكنى أعلم أننا سنتقابل مرة أخرى ونعيش سويًا إلى الأبد، لا تحزنى، فلكل شيء نهاية، وكل نهاية هى بداية لشيء آخر، هذا هو قانون الخالق.

بكت "زينب" بشدة واستحوذ عليها الذعر وتجمد لسانها عن الكلام وأمسكت يده بقوة.

فابتسم قائلًا: لا تخافى من شيء، فكل ما يحدث لنا هو خير، حتى وإن كنا نرى عكس ذلك، أنت اليوم أصبحتِ الحلقة الأقوى فى هذا البيت، فهذه الأسرة

أصبحت تعتمد عليكِ لتستمر مترابطة كما هى، وأنا أعلم أنكِ أفضل من يقوم بهذه المهمة، استمرى فى حياتك ولا تتوقفى مهما كانت قاسية عليكِ، استمرى فى السير حتى إن كنتِ تسيرين في الجحيم، وتذكرى أن هناك دائمًا أملًا فى كل شيء حتى إن كان مستحيلًا، ثم ابتسم بصعوبة بالغة قائلًا:

أعلم أنك تفوقتِ فى الدراسة كعادتك، ستجدين هديتك فى غرفتك، أتمنى أن تنال رضاكِ.

انحنت "زينب" وقبلت جبينه، واحتضنته فابتسم وقال:

- هذه فتاتى القوية.

ثم لفظ أنفاسه وفارق الحياة وانطفأ نور عينيه، وسكن كل شيء.

مرَّ عام كامل على فراق "زينب" والدها، إنها تنفذ وصيته جيدًا، ولكن هذا هو الظاهر فقط، لقد أظهرت قوة وصلابة أكثر مما كان يتوقعه الجميع منها، لكن من الداخل كانت تحترق روحها كل يوم شيئًا فشيئًا، فأهملت دراستها وأهملت نفسها حتى أصبحت لا تحبها،

ورغم ذلك لم تهمل والدتها وإخوتها، فهى لم تنسَ الوصية، كما أن حبها لأسرتها هو ما كان يبقيها على قيد الحياة، فهى تفضلهم على نفسها، فإذا فقدت حبهم فقدت الحياة.

لكن مع الوقت .. بدأت تتحول إلى فتاة متبلدة المشاعر لا تشعر بأى شيء سوى اللامبالاة، لم تعد تهتم بشيء، وأصبحت تسمع اللوم كثيرًا على أفعالها غير المسئولة، لم تكن تحب أن تسمع هذا الكلام، لقد كان أمرًا غريبًا بالنسبة لها لم تحبه أبدًا،

- ولكن هل من حل؟!.

ومع مرور الوقت أكثر.. قررت أن تطور نفسها، وأن تعود إلى تلك الفتاة التى لم تقابلها منذ فترة طويلة، تلك الفتاة التى لم تكن تراها حتى

عندما كانت تنظر فى المرآة، حاولت أن تفتح قلبها للحياة وتتقبل الواقع، لكن الأمر كان صعبًا عليها.

إلى أن قابلت ذلك الشاب الوسيم الذى كان ينتظرها كل يوم أمام مدرستها ليراها وهى تخرج، حاول كثيرًا أن يتحدث معها لكنها كانت تهينه وتتركه وترحل، حتى قالت لنفسها:

لِمَ لا؟

لماذا أعامله بهذه الطريقة؟!

ربما يكون شخصًا جيدًا، ربما يستطيع أن يملأ الفراغ بداخلى.

ولكن ماذا إن لم يفعل؟ ماذا لو كان شخصًا سيئًا؟.

هل أستطيع أن أتحمل صدمة أخرى؟.

لا أعتقد ذلك، لم أعد أملك المزيد من الطاقة للتحمل، لكن لا خيار آخر أمامى، يجب أن أخوض التجربة، إما أن أعود من جديد أو أن أنتهى تمامًا.

مرحبًا...

وقف الشاب مذهولًا من ذلك!.

لقد ذهبت هى إليه، وقالت ذلك وهى تبتسم.

ابتسم لها الشاب معبرًا عن سعادته، ومد يده ليصافحها، فمدت هى الأخرى يدها مبتسمة، وقالت: اسمى "زينب"، فرد الشاب: وأنا أمجد.

كان "أمجد" شابًا من عائلة ثرية، ولديه عمله الخاص والكثير من المال ولا ينقصه شيء، كان يحب ابنة عمه بجنون، وكانت تبادله الشعور نفسه.

حتى أتى اليوم الذى قالت له إنها مترددة في مشاعرها تجاهه، فهى لم تشعر أبدًا بالغيرة عليه منذ أن أحبَّته، وهذا يجعلها تشك فى حبها له.

كانت هي أكثر من يحب فى حياته، وكانت صدمته فيها كبيرة، وعاش حالة من الاكتئاب مدة طويلة حتى علم بخطبتها من غيره.

قرر "أمجد" أن يعود إلى حياته من جديد، وشاهد "زينب" يومًا وهو ذاهب ليحضر أخته التى كانت صديقتها، فسأل أخته عنها، فحكت له كل ما تعرفه بشأنها، وأنها لا تنوى الارتباط بأحد، ابتسم لأخته، ولمعت عيناه قائلًا:

إذا كانت لا تنوى الارتباط بأحد، فأنا سأكسر لها هذه القاعدة.

وبدأ فى محاولاته لدفعها للتقرب منه، حتى نجحت هذه المحاولات وأتت هي إليه.

كان "أمجد" يهتم بأمر "زينب" كثيرًا، وكان يتحدث عنها فى كل الأوقات ومع أى أحد، حتى اشتاقت عائلته لرؤيتها، فقام بدعوتها على العشاء مع أسرته، وافقت "زينب" وذهبت معه، وكان الجميع معجبين بها، فأحبوها كثيرًا، إنها الفتاة التى تقود أى حديث وتستحوذ على انتباه الجميع دائمًا.

كان "أمجد" يحاول أن يملأ الفراغ الذى بداخل "زينب"، حتى عادت مرة أخرى إلى الحياة، وسرعان ما علم الجميع فى عائلة "أمجد" بشأن "زينب"، وكانوا يغارون منه لفوزه بفتاة مميزة مثل هذه الفتاة، ومن ناحية أخرى عادت "زينب" إلى سابق عهدها، تملأ ابتسامتها الدنيا نورًا، ونجحت فى عامها الأخير بتفوق، فغمرت السعادة مجددًا أسرتها.

ذهب "أمجد" إلى أسرة "زينب" وطلب يدها للزواج، فرحبوا جميعًا به، ولم يجد أحدهم أى مشكلة في ذلك، إنه شاب وسيم، وثرى، ومثقف، وكما يبدو فإنه يهتم بأمر ابنتهم كثيرًا، وافق الجميع على طلب "أمجد"، وأقام حفلًا كبيرًا بحديقة منزله لخطبتها، وازدادت حياة "زينب" نورًا يومًا بعد يوم.

حضر الجميع من العائلتين ذلك الحفل الكبير، بمن فيهم ابنة عمه التى كان يحبها.

كان يبدو على وجهها التوتر والضيق، وسرعان ما ذهبت وغادرت الحفل، وكان "أمجد" سعيدًا جدًا بذلك، فقد نجح فى فعل ما يريد.

نعم، لقد اكتملت خطته بنجاح كبير، فقد غارت عليه حبيبته.

لم تكن "زينب" سوى الطُّعم المثالى لأداء تلك المهمة.

ترك "أمجد" "زينب" فى الحفل وركب سيارته وذهب خلف ابنة عمه وتوقف أمامها، ونزل من السيارة واتجه نحو باب سيارتها وفتح لها الباب قائلًا:

- هل يمكننا التحدث قليلًا؟

فنزلت من سيارتها وقالت:

- لماذا تركت حفلك وأتيت خلفى وماذا تريد أن تقول؟!.

ابتسم "أمجد" بغرور وقال:

- هل تأكدتِ من مشاعركِ نحوى الآن؟

فقالت وقد ملأت الدموع عينيها:

- نعم تأكدت، ولكن بما سيفيد هذا الآن، أنا وأنت لم نعد لبعض.

فقال: مخطئة، لقد فعلت كل هذا فقط من أجلكِ، فأنا لم أحب تلك الفتاة، فقد كانت مجرد وسيلة لأعود إليكِ.

اندهشت الفتاة مما سمعته من "أمجد" وأيقنت مقدار حبه لها بفعلته هذه، لقد فعل كل هذا فقط من أجل أن يتأكد من مشاعرها.

لكن انتظر لحظة!.

ما هذا؟! هذا سخيف جدًا، كيف تفعل ذلك بفتاة لم يكن لها أى ذنب فيما حدث بيننا؟!

رد "أمجد" متعجبًا: لقد فعلت هذا حتى تتأكدى من مشاعركِ نحوى، وأنت من قال هذا فيما مضى، وذلك دليل على حبك لى، وهذه الفتاة كانت محطمة على كل حال، فأنا لم أفعل لها شيئًا، بل أحسنت إليها، لقد عاشت فترة من السعادة ما كانت لتحلم بها.

رمقته بنظرة حادة غاضبة، وقالت: أنت مريض نفسى، أنا لن أضع نفسى أبدًا بين يدي شخص مريض مثلك، كيف لك أن تفعل هذا بها، أنا لا أريد أن أرى وجهك مرة أخرى بعد الآن.

ثم ركبت سيارتها وذهبت، أما "أمجد" فقد عاد إلى الحفل قائلًا فى نفسه وهو غاضب:

بعد كل ما فعلته من أجلها تفعل هذا بى، لن أتركها في سلام أبدًا، سوف أريها ماذا يمكننى أن أفعل، سأكمل مع "زينب" حتى تعود لى راكعة، ووقتها سأنتقم منها.

لقد حول الحب "أمجد" إلى شخص مريض وغاضب، لا يهتم بمشاعر أحد سوى نفسه، فقد تحول إلى شيطانه الخاص الذى يدمر كل شيء.

وصل "أمجد" إلى الحفل من جديد، حاول أن يخفي غضبه ويبتسم حتى لا يلاحظ أحدهم شيئًا.

مازال الجميع يرقصون ويغنون، وشاهد "زينب" من بعيد ما زالت مبتسمة سعيدة، فاطمأن أن كل شيء مازال بخير، فذهب مسرعًا إليها وأمسك بيدها ليرقص معها.

فنظرت إليه مبتسمة وقالت:

انتظر.. أريدك أن ترقص على شيء سيعجبك كثيرًا.

تركت يده وتحركت نحو مكبر الصوت، وأخرجت هاتفها وأوصله العامل على المكبرات، وشغَّلت ما كانت تريد أن تجعله يرقص عليه، وسكن الجميع فجأة.

لم تكن تلك موسيقى للرقص، لقد كان تسجيلًا لحواره مع ابنة عمه، نعم لقد سجلت كل كلمة وأرسلت به إلى "زينب" فور ذهابها.

جميع الأنظار موجهة نحو "أمجد"، الجميع يستمع لكل كلمة في ذهول، لم يكن هناك مجال للنقاش فى أى شيء، تجمد "أمجد" فى مكانه وانتابته رعشة قوية فى جسده، وتوقف عقله عن التفكير، اقتربت منه "زينب" مبتسمة ولم يبدُ عليها أي أثر للصدمة، وقالت:

نعم أنت مريض، لا تحير نفسك، لكنك لست مريضًا نفسيًا، فأنت بحاجة إلى طبيب بيطرى فهو وحده يمكنه علاج حيوان مثلك.

انتهى الحفل، بينما ينظر الجميع إلى "زينب" نظرة شفقة عليها لما حدث لها.

كانت تبدو قوية أمام الجميع، لكن في داخلها بركان غضب ويأس وإحباط يشتعل، إنها تتحطم من جديد، بل تحطمت تمامًا، لا مجال للعودة الآن.

فى الصباح التالى، أعدت "زينب" حقيبتها وخرجت تودع والدتها وإخوتها، لقد قررت أن تسافر وتترك تلك المدينة بأوجاعها، سوف تكمل دراستها الجامعية فى مدينة أخرى، مع أشخاص لا تعرفهم ولا يعرفونها.

لم تعترض والدتها على ذلك، فهى تعلم أنها لن تستطيع إيقافها، بل قالت مبتسمة:

- سنأتى إليكِ بعد انتهاء إخوتك من الدراسة، كونى قوية يا ابنتى، صحبتك السلامة.
- سترافقك دعواتى دائمًا.

انطلقت "زينب" فى طريقها، ليس لبدء حياة جديدة، بل لإنهائها تمامًا.

انطفأ نور حياتى، لم أعد أشعر بروحى داخل جسدى، لم أعد أريد أن أحيا أكثر من ذلك.

قالت "زينب" هذه الكلمات وهى واقفة أمام البحر الهائج فى مدينة غريبة بالنسبة لها، وتحت الأمطار الغزيرة، هذا المنظر الجميل الذى يشكل لزينب أجمل شيء يمكن أن تراه قبل أن تفارق الحياة، وقبل أن تقفز ذهبت بنظرها نحو ذلك الشاب الذى لم تفرق بين دموعه وبين المطر من غزارة كليهما، لقد كان يتحدث إلى البحر ويبدو عليه اليأس أيضًا، فابتسمت قائلة:

- كم أنا محظوظة اليوم، هناك من يرافقنى فى النهاية.

دنت "زينب" منه حتى أصبحت قريبة منه جدًا، لقد سمعت كل كلمة قالها وكأنه يتحدث إليها، وأتت الرياح تحمل عطر هذا الشاب، فبكت بشدة وانتابها ذلك الشعور الذى لم تميزه من قبل، لقد قفز الشاب بعد أن قال كلماته الأخيرة، وقرر الرحيل من دون أن يشعر أحد، نعم، إنه الشاب "وعد"، لم تكن "زينب" قادرة على فعل شيء، لم تستطع تمالك روحها، وألقت بنفسها فى النقطة ذاتها خلفه تمامًا وسكن المطر.

***

ليس بعد:

انتهت العاصفة، وسكن صوت البحر وتوقفت أمواجه، وبعد فترة قصيرة بدأ صوت الطيور يملأ المكان بنغم تذوب له القلوب.

وعلى جزيرة صغيرة أشعل صياد عجوز نارًا بالقرب من الشاطيء أمام كوخه الصغير، ثم اقترب من المياه وجلس على ركبتيه، وهمس للبحر، وبعدها أغلق عينيه دقائق معدودة، ثم فتحهما ليجد أمامه سمكة كبيرة الحجم لا تزال تتنفس، أخذ العجوز السمكة ونظر إلى البحر مبتسمًا ابتسامة رضا، ثم اتجه نحو النار التى أشعلها ليطهو الطعام الذى حصل عليه.

اقترب الصياد من السمكة، وهمس لها، ثم قام بتنظيفها ووضعها على النار.

وقف العجوز واتجه نحو الكوخ الصغير أمامه من دون إصدار أى صوت، فدخله متجهًا نحو الملابس المعلقة عابرًا وسط هذين الاثنين المستلقيين على الأرض من دون أن يعيرهما أى اهتمام، ثم التقط ذلك الثوب الذى يبدو أنه جف تمامًا.

التفت العجوز إلى الشاب على يمينه، وقال له: استيقظ.

فتح الشاب عينيه بصعوبة، لم يكن قادرًا على الحركة، لم يستطع فعل شيء سوى النظر إلى ذلك الوجه العجوز المبتسم أمامه، قائلًا:

أين أنا؟ ومن أنت؟ وما الذى حدث؟!.

أدار له العجوز ظهره، وقال:

لا تسأل الكثير من الأسئلة التى لن تجد لها إجابة، تحرك فقط ورائى ولا تكن مزعجًا.

لقد جفت ملابسك، ارتدِها الآن، سأنتظرك بالخارج.

التقط الشاب ملابسه بعد أن خرج العجوز، وقام بارتدائها وتحرك ليخرج وراءه.

لكن شيئًا ما جعله يتوقف ويذهب بنظره إلى تلك الفتاة النائمة التى كانت بجواره مباشرة، أضاءت عيناه بلمعة شديدة، ووخزه شعور قوى فى صدره وهو ينظر إلى ذلك الوجه الملائكى النائم، ثم قاطعه صوت العجوز من الخارج:

- أسرع فقد أصبح الطعام جاهزًا.

خرج الفتى من الكوخ، وجلس أمام النار بجوار الصياد العجوز، لم يكن يعرف من أين يبدأ الكلام، وسرعان ما قاطع الصياد تفكيره، قائلًا:

لا تفكر كثيرًا، فقط كل طعامك وبعدها سنتحدث.

بدأ الشاب في تناول طعامه، ويبدو أنه كان منبهرًا من لذة الطعام الذى يأكله، وينتابه شعور غريب من عدم فهم ما حدث، كيف وصل إلى هناك؟!.

انتهى "وعد" من طعامه، والتفت نحو العجوز محاولًا إثارة الحديث معه.

لكن سرعان ما قاطع العجوز تفكيره قائلًا:

انتظر هنا قليلًا.

ثم دخل إلى الكوخ وغاب بعض الوقت، تساءل "وعد" فى نفسه:

كيف أنقذنى هذا العجوز؟ ولماذا هو غامض هكذا؟!.

أنا تأكدت أن لا أحد يرانى، لم يكن هناك سوى تلك الفتاة التى كانت تراقبنى، لقد شعرت بنبض قلبها وشممت عطرها الذى نقلته إليَّ الرياح، وكأنى كنت أسمعها وأحس بها معى، لكنى لم أقلق منها؛ لأنها لو كانت تريد إيقافى لفعلت فى البداية، هل يمكن أن تكون هذه الفتاة هى نفسها التى تنام داخل الكوخ؟، أعتقد أنها هى، لقد شممت عطرها عندما عاد إليَّ وعيي،

أنا حائر فى هذا الأمر، الأسئلة التى فى رأسى ستقتلنى، أريد أن أفهم ماذا يحدث هنا.

ينتابنى شعور غريب حول ما يحدث وهذا العجوز الغامض الذى يتجاهلنى تمامًا، حتى طعامه الذى لم أتذوق مثله أبدًا.

قاطع كل هذه الأفكار والأسئلة التى تدور فى ذهن "وعد" صوت العجوز قائلًا:

لا تسأل كثيرًا، سأجيبك عن كل ما ورد فى بالك فى الوقت المناسب.

جحظت عينا "وعد" وتجمع الدم فى رأسه الذى كاد ينفجر من المفاجأة، وقال:

- هل هذا العجوز يقرأ أفكارى؟!

فقد أتى صوت العجوز من داخل الكوخ ولم يكن حتى بجوار "وعد"!.

خرج العجوز من الكوخ، واتجه نحو "وعد" الذى تجمد مكانه بعد أن اكتشف أنه يقرأ أفكاره.

جلس العجوز أمامه مبتسمًا وقال:

- لا تحتر فى أمرك، ستفهم كل شيء مع الوقت، سأخبرك بما يجب أن تفعله فقط، ولكن هناك أمور أبعد من إدراكك حاليًا ستعرفها فى وقتها، أنا لم أنقذك، بل أنقذك من ذهبت إليه، إنه صديقك الذى يستمع إليك دائمًا، لقد حملك وأتى بك إلى

هنا أمام كوخى الصغير، وطلب منى أن أعتنى بك، أما كوني أقرأ أفكارك، فهذا شيء لا يجب أن تعرفه الآن، والفتاة التى في الداخل أمرها مثل أمرك، لا تختلف كثيرًا، ولكنك لن تراها مرة أخرى إلا في الوقت المناسب.

أما الآن .. فيجب أن تمضى إلى حياتك، وعندما تكون مستعدًا، فإنه سوف يأتى بكما مرة أخرى.

نطق "وعد" بصعوبة شديدة:

- أنا لا أفهم أى شيء، فكل كلمة قلتها يحيطها الغموض، وكيف أتى بى البحر إليك؟

وكيف تحدث معك ليطلب منك أن تعتنى بى؟ وما تلك الأشياء التى لم يحن وقتها لمعرفتها؟

وهل يجب أن أصدق ما يحدث؟!.

أنا بالكاد أعرفك، ولا أثق بك، وتلك الفتاة أنا لن أذهب وأتركها معك، فأنت مجرد عجوز مجنون، ولن أأتمنك عليها هنا، وسوف أصطحبها معى، ربما تكون أتيت بها رغمًا عنها، لقد كانت تقف خلفى قبل أن أقفز فى البحر، فإذا كان البحر هو من أتى بى كما تقول فكيف أتت هى؟.

ابتسم العجوز، وقال:

- أنت لست مستعدًا بالفعل، مازال أمامك الكثير لتتعلمه، والكثير من الأيام لتشعر به، وحينما تدرك معنى هذا سوف تعود

مستعدًا لتتعلم ما تحتاج إليه، ثم أخذ العجوز نفسًا عميقًا، ونظر فى السماء قائلًا بصوت مرتفع:

أخرجه إلى النور.

ضاق صدر "وعد" وانقطعت أنفاسه، وتوقفت كل حواسه، وأظلمت الدنيا من حوله، ولم يعد يشعر بشيء.

استيقظت "زينب" لتجد نفسها فى ذلك الكوخ الصغير، والصياد العجوز جالس بجوارها، وقد أحضر لها الطعام، وقال لها مبتسمًا:

تناولى طعامك وغيّرى ثيابك، لقد أحضرت لكِ بعض الملابس الجديدة، وبعدها سنتحدث.

ابتسمت "زينب"، وأشارت برأسها بالموافقة.

خرج العجوز من الكوخ قائلًا: سأنتظرك بالخارج.

جلست "زينب" وتناولت طعامها وغيرت ثيابها وخرجت من الكوخ، كان العجوز لا يزال جالسًا أمام النار المشتعلة، فاقتربت منه وجلست بجواره، وبدأت تسأل عن ما حدث، كان ما يدور فى رأسها نفس ما كان يدور فى رأس "وعد".

لكن ذلك العجوز لا يعطى إجابة كاملة أبدًا، كان يقول ما يريد أن يقوله فقط.

لم تكن ردة فعل "زينب" مثل ردة فعل "وعد" فهى لم تفقد أعصابها، ولكنها انفجرت بالبكاء وقالت:

لم أعد أحتاج إلى كل هذا، لم أكن أريد سوى مفارقة هذه الحياة، حتى هذا تعثر الحظ به، غير أنه لا خيار آخر أمامى الآن سوى محاولة بناء حياة جديدة، وربما يتحسن كل شيء يومًا ما، أو يسوء إلى الأبد.

مد العجوز يده ولا تزال الابتسامة كما هى، ومسح دموعها قائلًا:

ابكى يا بنيتى، فدموعك كلمات ثقيلة، لن يتحملها قلبك، مازال أمامك الكثير لتعرفيه، يومًا ما ستكونين أقوى من أن تدمع عيناك على أى شيء، أعدك بهذا، ربما لن أراك مرة أخرى، لكن تذكرى وعدى لك جيدًا، فحينما تظلم الدنيا وينهار كل شيء سيظهر الوعد ويصلح هذا وستكون بداية جديدة لحياة أفضل.

ابتسمت "زينب" معبرة عن شكرها للعجوز؛ فقد أذهب كلامه الحزن من قلبها.

والآن ستعودين وتكملين طريقك، لكن لا تنسي الوعد..

نظر العجوز إلى السماء وقال هذه الكلمات، وغابت عن الوعى.

***

العودة:

استيقظ "وعد" بعد ما حدث ليجد نفسه فى غرفة نومه.

كانت هذه بمثابة صدمة قوية له بعد كل ما حدث، وسرعان ما تدارك نفسه، وبدأ يقنعها أن كل ذلك مجرد حلم، لم يكن أكثر من وهم فى خياله.

سمع صوت والده يناديه من الخارج قائلًا:

استيقظ يا "وعد" فطعام الفطور جاهز.

ابتسم، وقد تأكد أنه كان يحلم، فلو كان مختفيًا تلك الفترة كلها لَما كان والده ليوقظه بهذه الطريقة، وكان سيبدو على صوته الخوف والقلق، خرج من غرفته، وجلس بجوار والده قائلًا:

لقد رأيت حلمًا غريبًا يا أبى، حاولت فيه الانتحار، ورأيت فتاة لا تفارق ملامحها خيالى، وذلك الرجل العجوز غريب الأطوار، وكلماته التى لم أفهم منها شيئًا.

- ضحك والده بصوت عالٍ وقال:

هذا أنت .. لن تتغير .. ستبقى صاحب الخيال الأوسع فى العائلة، وصاحب الشخصية الغامضة دائمًا، هيا تناول طعامك حتى لا يبرد.

ابتسم "وعد" لوالده، وبدأ يتناول طعامه .. ما زال مذاق طعام الصياد فى فمه .. لا يريد أكل طعام والده؛ حتى لا يضيع مذاقه من فمه.

قال فى نفسه:

يبدو أن أحلامى تؤثر على واقعى، نظر إلى والده قائلًا:

حسنًا يا أبى، لا طاقة لى على تناول الطعام الآن، أريد أن أبقى وحدى قليلًا.

قال له والده مندهشًا:

أنت لم تخرج من غرفتك منذ يومين، ماذا يحدث لك؟! هل أنت بخير؟!.

- اندهش "وعد" من هذا، إن كان غائبًا يومين؛ إذن فما حدث لم يكن حلمًا، فهو عندما خرج لم يره والده، وكان يعتقد أنه في غرفته لا يريد أن يتحدث مع أحد، وذلك بعد ما حدث مع تلك الفتاة التى كان يحبها.

قال فى نفسه:

إن لم يكن هذا حلمًا، إذن كيف دخلت إلى غرفتى، وعاد كل شئ كما كان، ولم يلاحظ والدى أى شيء!.

هناك شيء ما خطأ، إما أنني جننت، أو أن هناك شيئًا يحدث لي لا أفهمه.

دخل إلى غرفته، أغلق الباب على نفسه، جلس أمام مكتبه الصغير، وقال لنفسه:

إذا كان هذا وهمًا فيجب أن أستيقظ منه، وأن لا يحدث مرة أخرى.
وإن كان حقيقة؛ فلا شيء بيدى لأفعله، لا أعرف حتى مكان هذا الرجل العجوز لأعود إليه، الحل إذن الآن أن أمضى فى حياتى ولا أشغل تفكيرى بهذه الأمور مرة أخرى.
قرر "وعد" أن يبدأ من جديد، يترك الماضى وراء ظهره ويهتم بدراسته وبوالده، لا شيء آخر غير ذلك.
انتقل "وعد" إلى الجامعة، وبدأ دراسته، وكان متفوقًا فيها جدًا.
عاد الروتين إلى حياته، لم يكن هناك شيء جديد يفعله سوى الذهاب إلى الجامعة صباحًا، والتحدث مع والده ليلًا.
كان والده يُسخِّر حياته من أجله، لكنه ما كان ينسى والدته مطلقًا، ولم يكن هذا يعوضه عنها، ولم ينس ذلك الرجل العجوز، ولا وجه تلك الفتاة النائمة وعطرها الجميل.

ظل على هذا الروتين اليومى، حتى وصل إلى عامه الأخير فى الجامعة، لم يكن يعرف ماذا سيفعل بعد أن ينتهى من دراسته، لم يفكر فى أى شيء حتى ذلك اليوم الذى خرج فيه من الجامعة عائدًا للمنزل، وجد هناك إخوته وزوجاتهم، هناك ضيوف هذا اليوم فى المنزل على غير العادة، لقد حضروا دون ترتيب مسبقًا، تناولوا الطعام معًا وجلسوا وتحدثوا عن أخبارهم، كانت الأجواء جميلة هذا اليوم، كلهم سعداء، حتى أقبل الليل سريعًا، وذهب كل واحد منهم إلى منزله، ودخل "وعد"

غرفته بعد أن ودّعهم، وساعد والده وأدخله لينام، أغلق بابه وظل يفكر فى الشيء نفسه الذى لم يفارق باله أبدًا؛

الرجل العجوز .. الفتاة الجميلة .. ظل يفكر فيهما حتى غلبه النوم.

ظل نائمًا حتى مساء اليوم التالى، كان جسده مرهقًا جدًا من يوم أمس، استيقظ وكان البيت هادئًا تمامًا على غير العادة، اعتاد أن يسمع صوت والده يملأ المكان، فقد عمّ النزل هدوء غريب، وشعور غريب لم يحسه من قبل، تجاهل كل ذلك وارتدى ثيابه ليخرج ويقابل بعض أصدقائه، دخل غرفة والده كى يخبره أنه سيخرج؛ ليرى إن كان يحتاج شيئًا منه قبل الذهاب،،

والده نائم على غير عادته فى هذا الوقت من اليوم، ناداه "وعد"، فلم يستيقظ، فاقترب منه

ووضع يده على كتفه مناديًا إياه، ولكن .. لم يرد عليه .. لم يتحرك .. جسده بارد كالثلج .. وجهه مبتسم .. عيناه مغلقتان ..

لقد فارق الحياة....

انكب "وعد" على صدره يبكى ويصرخ فيه ليستيقظ، لم يكن يصدق أنه قد رحل، فهو كل ما تبقى له، كانت هذه الصدمة الكبرى فى حياته التى ستغيره للأبد .. ربما للأفضل وربما للأسوأ.

***

انتقلت "زينب" للجامعة، اختارت تخصص الطب البيطرى، ليس لأنها تحبه، بل لأنها تريد أن تتعلم طريقة التعامل مع البشر، ما زالت تجيد كل شيء تفعله، إلا أنها فقدت ابتسامتها، لقد خذلتها الدنيا كثيرًا، هى الآن تدرس فى بلد غريب، تعيش وحدها، لا تفعل فى حياتها شيئًا سوى الدراسة وتكوين صداقات جديدة، لن ترتبط عاطفيًا بأحد آخر بعد ما حدث معها من "أمجد"، كانت راضية بتلك الحياة، لكنها لم تكن سعيدة بها، كانت تكتسب الكثير من الأصدقاء كل يوم كما اعتادت، يحبها الجميع رغم زوال ابتسامتها، ما زالت تلك الشخصية الساحرة التى تأسر قلوب وعقول كل من يعرفها.

استمرت "زينب" فى الحياة بتلك الطريقة حتى انتهت من دراستها الجامعية، سافرت والدتها وإخوتها إليها ليقيموا معًا من جديد كما وعدوها، لم تكن تعانى من مشاكل مادية فى ذلك الوقت، بيد أن روتين الحياة اليومية حولها لشخصية بلا هدف مع مرور الوقت، وفقدت معتقداتها الداخلية، فلم تعد تفكر فى مستقبلها.

الإحباط .. اليأس .. اللامبلاة .. مشاعر استخدمتها للهروب من الخوف من المجهول، فأصبحت لا تريد المستقبل خوفًا من المجهول، مع مرور الوقت بدأ نور وجهها ينطفيء، سيطر الاكتئاب عليها وأظلمت حياتها تدريجيًا.

أصيبت بمرض نفسى يأكل جزءًا من روحها كل لحظة، لم تعد ترى سوى آلامها وأوجاع روحها، وتحولت حياتها إلى عمل صباحًا، وجلسات للعلاج النفسى ليلًا، فقدت قوتها الذاتية ولم تعد تثق في أحد، ولا حتى نفسها.

- انتهى العزاء، عاد "وعد" إلى المنزل وحيدًا، دخل غرفة والده واستلقى على سريره، لم يكن يميز ذلك الشعور الغريب، لم يشعر بشيء كهذا من قبل، حتى عندما فقد والدته لم يشعر بذلك، فقد اختفت فجأة، وهو ما زال صغيرًا، ربما تركت أثرًا عميقًا فى

نفسه، تكونت عليه معتقداته، لكن فقدان والده أمر مختلف تمامًا، تذبذبت نظرته للحياة، وأظلمت دنياه، انهارت كل أهدافه، حتى روتينه اليومى لم يعد قادرًا عليه.

انعزل تمامًا عن العالم كله وعن الواقع الذى يعيشه، أصبح يخاف حتى من نفسه، سيطر عليه شبح الماضى، فلم يعد يهتم بشأن أحد.

انتقل "زين" وزوجته وأولاده للإقامة مع "وعد" فى منزل والدهما، لم يستطع أن يترك أخاه يعيش وحده فى هذه الظروف الصعبة، حاول مرارًا أن يُخرج "وعد" من حالة الاكتئاب التى وصل إليها، لكنه لم ينجح فى ذلك، تدهورت مع الوقت حالتهم المادية وازدادت سوءًا، ذهب "وعد" للعمل في دار للمسنين من ذوى الاحتياجات الخاصة، كان هذا العمل صعبًا جدًا على أي أحد، فقد كان التعامل مع هؤلاء المسنين صعبًا على النفس، فهم لا يستطيعون فعل أى شيء وحدهم، بداية من الأكل وصولًا

إلى الاستحمام، لم يكن يعانى "وعد" من أى صعوبة فى هذا العمل، بل كان يستمتع به جدًا، فقد كان يرى والده معهم، كان يسيطر عليه شعور بالذنب؛ لأنه يشعر بأنه لم يعطِ والده ما يستحق، يشعر بأنه كان مقصرًا معه ولم يكن يجد الوقت الكافى ليقدر معاناة والده من أجل إسعاده، وأنه تحمل الكثير من أجله من دون مقابل.

كان "وعد" يحاول تعويض ذلك بتقديم تلك الخدمة لكبار السن غير القادرين، يشعر بينهم بالسعادة وأنه مازال حيًا.

دار حديث طويل بين "زين" وزوجته عن حال "وعد" وما وصل إليه، وكيف يمكنهم مساعدته.

- فاتفقا فى نهاية الحديث على رأى واحد، وهو أنه يجب أن يتزوج، هذا هو الحل الوحيد لإعادته إلى عالمنا من جديد.

عاد "وعد" من العمل وتناول غداءه، وفى المساء جلسا معه، وطلبا منه أن يستمع إليهما جيدًا، فالتفت منتبهًا إليهما.

أخذت الجدية ملامح "زين" ونظر إليه قائلًا:

أخى، لقد صِرْتَ الآن شابًا، تستطيع أن تتحمل مسئولية بيت كامل وحدك، لا ينقصك شيء، ربما هناك بعض الضغوط المادية، لكن هذه مشكلة يمكن حلها، لك حرية الاختيار فى الطريقة التى تعيش بها، لكنى أخاف مما هو آت، فأنت تدمر نفسك، لن يخرجك من حالتك تلك سوى الزواج.

ابتسم "وعد" ونظر فى الأرض قليلًا، ثم تغيرت ملامحه واحتدت

ونظر لـ "زين" قائلًا:

ومن تلك التى ستتحمل أعبائى؟

هل تدرك كم الألم الذى بداخلى؟

أعتقد أنى لم أعد أصلح لتلك العلاقات الاجتماعية، ولا حتى التعامل مع البشر.

تأثر "زين" بكلام أخيه وقال:

أعلم جيدًا أنك تتألم، ومهما حاولت أن أتخيل أو أشعر بما فى داخلك لن أستطيع، فلا يشعر بالألم سوى صاحبه؛ لذلك اقترحت عليك الزواج لتجد من يكملك ويكون شريكًا لك فى هذا، حتى تتغير حياتك للأفضل.

قال "وعد" وهو حائر فى الأمر:

لا أعرف، ربما تكون محقًا، وربما لا، لكن سأوافقك الرأى، لن أخسر شيئًا أكثر مما خسرت، غير أني فقدت القدرة على الاختيار.

ردت زوجة أخيه قائلة:

اترك هذا الأمر لى، فقط وافق أنت، وأنا سأكمل تلك المهمة.

فرد قائلًا:

حسنًا.. إذن لا مانع لديَّ، لنفعل هذا.

امتلأ المنزل ذلك اليوم بالسعادة، وكان الجميع يشعر بالفرح الشديد، عدا "وعد" الذى لا يعرف نتيجة هذا القرار، فهذا أمر يقلقه كثيرًا.

مرت بضعة أيام، و"وعد" جالس فى غرفته غارق فى قراءة الكتب، طرقت زوجة أخيه الباب ليأذن لها بالدخول، فأجابها أن تدخل.

قالت مبتسمة:

- لديَّ خبر سار لك.. فابتسم ونظر إليها قائلًا:

- يبدو أنك قمت بمجهود كبير لتجديها بتلك السرعة.

ضحكت بصوت عالٍ وقالت:

- دائمًا ما تعرف موضوع الحديث قبل أن يدور، حسنًا أيها العبقرى، لقد وجدتها.

قال "وعد":

- من هى؟ هل أعرفها؟ هل هى من العائلة؟.

فقالت: نحن لسنا من المستوى الرفيع لتلك العائلة، لن يرضى أحدهم أن يزوجك ابنته، لقد وجدت فتاة مناسبة جدًا، إنهم جيران لنا، لا أعتقد أنك رأيتها من قبل، إنها فتاة جميلة، وعمرها مناسب لك، عائلتها بسيطة جدًا، لقد انتقلوا من الريف إلى هنا منذ مدة قصيرة، إنها عائلة محافظة جدًا، وتبدو عليهم ملامح الأخلاق، لقد تحدثت مع والدتها وكانت مرحبةً جدًا بهذا الأمر.

ابتسم "وعد" وقال:

حسنًا .. إذن، لِمَ الانتظار؟، إن كنتِ ترين أنها جيدة فلنذهب ونجعل الأمر رسميًا.

فضحكت وقالت:

- حسنًا، سأذهب وأتحدث معها الآن وأرى متى يمكن أن نذهب إليهم؟

ذهبت مسرعة إلى والدة الفتاة وتحدثت معها، ثم عادت سريعًا لتخبر "وعد" قائلة:

استعد جيدًا، سوف ينتظروننا غدًا لتناول الطعام معهم والتحدث في تفاصيل الزواج.

وفى اليوم التالى اجتمعت الأسرتان وتناولوا الطعام معًا، وملامح السعادة تظهر على الجميع، وتحدثوا فى تفاصيل الزواج واتفقوا على كل شيء.

يبدو أن "وعد" كان راضيًا جدًا بتلك الأسرة، وازداد رضاه عندما رأى "سلمى" وتحدث معها، إنها بالفعل فتاة جميلة وهادئة الطباع، لديها ابتسامة رائعة، وشعر وقتها بالسعادة، فهذه الفتاة يمكن أن تغير واقعه.

وبعد أيام معدودة ذهب الجميع إلى الريف لعائلة "سلمى" ليقيموا الخطبة.

استمرت أجواء الفرح والسعادة أيامًا كثيرة، كان عمل "وعد" لا يكفل له الدخل المناسب لتكاليف الزواج، ترك دار المسنين وذهب للعمل بقطاع المصاعد الكبرى، كان عملًا شاقًا لكن دخله كان مناسبًا، تقدم سريعًا فى عمله، وأصبح يجيده مع مرور الوقت، ازداد تعلقه بـ "سلمى" أكثر، وبدأ الأمل يعود إليه من جديد.

لكنها كانت لعنة "وعد"، فكلما شعر بالأمل وبدأ يحب الحياة، عادت الحياة لتسلبه ذلك الأمل، تتركه وحده ليعيش وسط أشباح الماضى.

ومع مرور الوقت ازداد حبه أكثر لـ "سلمى"، لم يكن يتخيل حياته من دونها، لقد عوض وجودها الفراغ الذى بداخله، ومع مرور المزيد من الوقت بدأت تظهر المشكلات، فقد بدأت حالته المادية تتغير، فعمله لا يتميز بالاستمرار؛ لأن هذا النوع من الأعمال يقوم فقط على مصلحة صاحب العمل، يأخذ منك خبراتك ووقتك وصحتك، وبعد أن ينتهى عملك معه ببساطة تعود لتبحث عن مكان آخر.

أدى ذلك لعدم الاستقرار المادى لوعد، فقد كان يضيع كل ما جمعه فى فترات الانتقال تلك، وكانت "سلمى" أيضًا تطلب منه الكثير من الأشياء، لم يكن يعترض على ذلك، ولم يرفض لها طلبًا مطلقًا، لقد كان يحب أن يرى ابتسامتها كلما أحضر لها شيئًا تريده، لكن هذا لم يكن يرضى أسرتها؛ فهم لم يلاحظوا أى تقدم على "وعد"، لم يدخر شيئًا بعد لتكاليف الزواج؛ مما أثر بالسلب على هذه العلاقة، وعندما أصبح "وعد" غير قادر ماديًا على أن يلبى طلبات "سلمى" التى لا تنتهى، بدأت هى الأخرى تشعر بعدم الرضا ولم تعد تعامله كما كانت من قبل، رغم أنه كان يتعب كثيرًا من أجلها، لكنها لم تقدر ذلك.

وفى يوم من الأيام، عاد "وعد" من عمله متعبًا جدًا، وصل إلى المنزل فوجد "زين" وزوجته فى انتظاره وتبدو على وجهيهما ملامح التوتر والقلق.

سألهما في تعجب:

ماذا حدث؟! لِمَ أنتما جالسان هكذا؟!.

قال "زين" وهو ينظر إلى الأرض بصوت حزين:

لا نصيب لك مع "سلمى" أكثر من ذلك، لقد قرروا إنهاء الخطبة، كانت والدتها هنا منذ قليل وأبلغتنا بذلك ورحلت.

عمَّ الصمت المنزل للحظة، وتجمدت الكلمات فى حلق "وعد"، لم يكن قادرًا على تحمل صدمة كتلك، لم يستطع قول شيء، خرج مسرعًا من المنزل لا يعلم أين سيذهب وماذا سيفعل، فهذا أكثر بكثير مما يمكن لقلبه أن يتحمل، حاول "زين" اللحاق به فلم يستطع، لقد اختفى "وعد" تمامًا .. إنه يعلم جيدًا أن "وعد" لن يتحمل ذلك الألم مُجددًا.

غاب عن المنزل ثلاثة أيام، بحث عنه "زين" فى كل مكان، لكنه لم يستطع الوصول إليه، كان "وعد" فى المكان الذى لن يبحث عنه فيه أحد، لقد ذهب للبحر وجلس على الصخرة، وبقى كل هذه المدة مكانه يشكى همه للبحر، إلا أنه عاد فى النهاية.

***

لعنة وعد:

دخل "وعد" الشارع الذى يسكن فيه، كان الشارع مزدحمًا جدًا، وموسيقى

صاخبة تدق، والجميع يرقص، يبدو أنه زواج أحد سكان الشارع، تفادى "وعد" الاحتكاك بأحد، وذهب فى اتجاه المنزل، لكن صدمته الكبرى حدثت، عندما اكتشف أن هذا الزفاف، هو زفاف "سلمى".

هل كان هذا مدبرًا؟!.

هل كل ما حدث بيننا كان مجرد كذب من البداية؟!.

هذا الأمر أصعب من أن أتحمله، لكن هذا ما يجب أن أفعل.

دخل منزله مسرعًا متجاهلًا الجميع، وهم ينظرون إليه بسخرية، نظراتهم تمزق كل جزء تبقى منه، غير أن هذه الصدمة لم تكن الوحيدة فى هذا اليوم، باب المنزل لا يفتح .. هناك أحد في الداخل .. ويسمع أصواتًا غريبة.

طرق الباب، فخرج رجل غريب لم يرَه من قبل، وسأله من أنت؟

فأجابه: أنا "وعد"، أسكن هنا، هذا منزل والدى، من أنت؟

فقال الرجل: أنا المالك الجديد لهذا المنزل لقد اشتريته من يوم أمس، كنت أتوقع حضورك، أخبرني أخوك أنك ربما تأتى؛ لذلك ترك لك خطابًا معى وهذا المفتاح.

إنه مفتاح غرفة على سطح البيت، اشتراها لك ورحل هو وزوجته.

أغلق الرجل الباب فى وجه "وعد".

صعد "وعد" إلى سطح المنزل وخطواته تتباطأ وتزداد ضربات قلبه سرعة .. وتظلم عيناه شيئًا فشيئًا، حتى وصل إلى باب تلك الغرفة المهملة، وسقط فاقدًا الوعى.

وعندما استفاق وجد نفسه فى المكان الذى سقط فيه كما هو، لم يلاحظ وجوده أحد، ولم يعلم أحد بشأنه، فسأل نفسه باكيًا:

إن متُّ هنا، هل سيشعر أحد بأمرى؟

أم ستكون هذه الغرفة هى مرقدى الأخير؟

لقد أصبحت وحدى تمامًا، لن يهتم أحد بعد الآن بأمرى، ما أصعب هذه الحياة!.

كلما أضاء نور الدنيا من بعيد وذهبنا نحوه بأمل جديد اكتشفنا أنه ليس سوى انعكاس لذلك الماضى المتحطم.

فتح باب الغرفة ودخلها محطمًا، ينهمر مطر الدموع

من عينيه.. محترقة أحلامه.. فاقدًا الأمل..

***

كانت الغرفة من الداخل مرتبة جدًا، جلس على السرير، وأخرج الخطاب الذي معه مرتجفًا من قراءته، فربما يجد فيه صدمة جديدة، لكن هذا لم يعد مهمًا بالنسبة له، لقد أصبح محصنًا ضد الصدمات.

فتح الخطاب وكان في داخله بعض المال وورقة من "زين"، وبدأ في قراءة الخطاب:

.. أخى، أعلم أنك غاضب منى الآن؛ لذلك تركت لك هذا الخطاب لأشرح لك ما حدث، لقد بحثت عنك كثيرًا، دون جدوى، وفى اليوم التالى، حضر صاحب البيت ومعه قوة من الشرطة لينفذوا حكم المحكمة، فأنت تعلم أن البيت مؤجر منذ زمن بعيد، وأقام صاحب المنزل دعوى فى المحكمة، وحكمت لصالحه؛ لأن أحدًا منا لم يحضر، فلم نكن نعلم بذلك، وعندما حضر أخرجونا جميعًا ودفعوا لنا مبلغًا من المال، اشتريت بنصفه تلك الغرفة، وتركت لك نصف ما تبقى وأخذت النصف الآخر، وذهبنا للإقامة مؤقتًا مع أسرة زوجتى، لا أعلم متى ستعود، لكنى أعلم أنك ستفعل، لا تحزن يا أخى، فلكل ظلم نهاية، ولكل صابر أجر عظيم..

انتهى "وعد" من قراءة الخطاب وهو يبكى على نفسه وعلى أخيه، ولم يكن يعرف ماذا عليه أن يفعل، أشعل السيجارة، حاول أن يتمالك نفسه، ثم ذهب فى النوم يومًا كاملًا.

وعندما استيقظ تملكه شعور بالراحة، لم يعد يبالى بالماضى، قرر أن يقاوم ويغير حياته للأفضل، لن يستسلم لحظه العثر مجددًا.

ارتـدى ملابسـه وخـرج مـن الغرفـة، ذاهبًـا إلى متجـر الحيوانـات الأليفة، واشترى كلبًا كبير الحجم، لا يحب أن يعيش وحده، أخذ الكلب واشترى له الطعام وعاد إلى الغرفة .. تناول الطعام .. وتناول كلبه أيضًا الطعام .. جلس يتحدث مع كلبه .. الكلب يستمع جيدًا .. غطّ "وعد" فـى النـوم وهـو يتحـدث، جلـس الكلـب بجـواره يحرسـه، يبـدو أنـه يفهـم كلامه، فقد امتلأت عيناه بالدموع على حال صاحبه الجديد.

استيقظ "وعد" بعد منتصف الليل وكل شيء ساكن فى تلك اللحظة.

عاد من شريط ذكرياته الذى انتهى بذلك وهو جالس أمام البحر بعد أن ألقى برسالته للحظ العثر.

***

الرد على الرسالة:

هل تعتقد أن حظك العثر هو سبب ما يحدث معك حتى هذه اللحظة؟.

انتقض "وعد" من هذا الرد الذى لم يعرف من أين يأتى.

لقد كان المكان فارغًا تمامًا، يبدو أن البحر ليس ساكنًا رغم هدوء

الرياح، وفجأة ارتفعت أمواجه بقوة وكأنها ستبتلع المدينة بأكملها، زحف "وعد"

على ظهره للخلف من هول المنظر أمامه، وسرعان ما أتى هذا الصوت مجددًا.

- لا تخف، لن أؤذيك أبداً، أنت صديقى، لقد أنقذتك من قبل، وأنتظرك من يومها لتعود.

فرد مذهولًا على البحر الذى تحدث معه للتو قائلًا:

كيف تتحدث معى؟! هل أنا جننت؟! أم أنك تتحدث معى بالفعل؟!

وإذا كنت تتحدث معى كيف أفهم لغتك؟!

رد البحر قائلًا:

أنت لست بمجنون؟ نعم أتحدث إليك، هناك لغة تتحدث بها الأشياء كلها، لا يفهمها أحد، لقد حاولت التحدث معك من قبل، لكنك لم تفهمنى حتى هذه اللحظة، وفهمت القمر أيضًا، يبدو أنك تغيرت كثيرًا لتصل إلى ذلك.

لكن قبل أى شيء، لا يوجد مخلوق يسمى الحظ العثر،

لمن تريد أن أبعث رسالتك؟.

تعجب "وعد" من هذا السؤال ورد قائلًا:

ما الذى تقوله؟!

كيف لا يوجد شيء يسمى الحظ العثر؟!

أنا لم أعرف فى حياتى بكاملها سواه.

رد البحر قائلًا:

لقد تحدث عنه الكثير من الناس .. فكل من يأتينى يشكو همه دائمًا ما يذكر هذا الشيء؛ لذلك بحثت عنه كثيرًا فلم أجده، كنت أحاول أن أخبر كل من يأتى بأنه شيء غير موجود، لكن لم يسمعني أحد.

رد "وعد" والحيرة على وجهه قائلًا:

إذا لم يكن هناك ما يسمى الحظ العثر؛ إذن فمن الذى يفعل كل هذا؟

من الذى يستمتع بحياتنا مدمرة خربة لا معنى لها؟

أخبرنى من هو؟ رد البحر قائلًا:

أنا لا أعرفه، لم أجد شيئًا بهذه المواصفات أبدًا، منذ خلقنى الذى خلقك، اسأل القمر ربما يعرف، فهو يرى كل شيء من أعلى.

توجه "وعد" بنظره نحو السماء وسأل القمر:

هل تعرف أين نجد الحظ العثر؟ أريد أن أبعث له برسالة، فالبحر لا يعرف مكانه.

هل يمكنك أن ترشدنا إليه؟

رد عليه القمر قائلًا:

لا يوجد من خلق بهذا الاسم، ولا يوجد من هو بهذه المواصفات، إن كنت تعتقد أنه موجود، فربما تكون محقًا، فأنت من بنى آدم، وأنت أفضل منى، وتعرف ما لا أعرفه، أنت مميز عن جميع الخلق، اذهب إلى الصياد ربما لديه إجابة، فهو مثلك من بنى آدم وهو مميز كثيرًا، فدائمًا ما تكون لديه إجابة، اذهب إليه ربما يفيدك.

عاد "وعد" بنظره إلى البحر، وسأله:

هل تعلم كيف أذهب إلى الصياد؟ فأنا لا أعرف الطريق.

رد البحر قائلًا:

نعم، بالتأكيد أعلم الطريق، لقد اصطحبتك إلى هناك من قبل، هل تذكر؟.

قال "وعد":

نعم أذكر ذلك اليوم، لكنه كان غاضبًا منى المرة الماضية، هل تعتقد أنه سيقبل التحدث معى مرة أخرى؟

فرد البحر قائلًا: لا تقلق، فهو لا يغضب بسهولة، لم يكن غاضبًا منك بل عليك، إنه شخص حكيم، والآن هيا اركب على ظهر القارب الصغير الذى أمامك.

ركب "وعد" القارب وقال: أنا مستعد الآن، هيا خذنى إليه.

قال البحر: الآن، يجب أن يعلم أنك ذاهب إليه ويطلب حضورك.

فقال "وعد" مندهشًا: وكيف نفعل هذا؟

رد قائلًا: اطلب من الريح أن تذهب إليه وتخبره، وهي تعلم ماذا تفعل.

سأل "وعد" الريح قائلًا: هل يمكنكِ الذهاب للصياد وتخبرينه أننى مستعد للقائه؟

ردت عليه الريح قائلة: بالتأكيد، سأذهب وأخبره.

اشتدت الريح، وعصفت بقوة، وجاء صوت الصياد من بعيد:

- أخرجه إلى النور.

سمع "وعد" هذه الكلمات من قبل، عندما قالها الصياد ليعيد "وعد" إلى بيته.

ارتفع البحر وحمل القارب الصغير وذهب به فى اتجاه الصياد.

❊❊❊

- هل هناك أمل أن تتحسن حالتها؟

دائمًا هناك أمل، فلكل داء دواء، بيد أنه مع تلك الحال التى وصلت إليها أصبح من الصعب إعادتها إلى ما كانت عليه، ولكن ليس بمستحيل، لقد سيطر شر ما عليها، ولم تعد تلك الفتاة التى عرفتِها من قبل، أعلم أن كلامى هذا صعب عليكِ بصفتك والدتها، لكن هذه هى الحقيقة، لقد وصلت "زينب" إلى مرحلة متقدمة جدًا من الاكتئاب، ومريض الاكتئاب يمكن أن يفعل أى شيء ليضر نفسه، وفى تلك الحال يقوم المريض بإيذاء نفسه ومن حوله أيضًا، لن تهمها النتائج مهما كانت.

الحل الآن هو أن تدخل مصحة للعلاج النفسى، وهذا هو الأمر الأصعب فى الموضوع، فهى سترفض تمامًا، ويمكن أن تحاول قتل نفسها إذا حاولنا الضغط عليها، فهى الآن لا تهتم بأحد، لقد تحولت إلى شخص مختلف.

بكت والدتها وقالت:

ماذا يمكننى أن أفعل إذن؟، لم نعد نتحملها، لم يعد أحد يحبها .. ابتعد عنها كل أصدقائها، وبدأت تكون صداقات مع أشخاص سيئين، يشجعونها على الخطأ، لم يعد بمقدورى فعل أى شيء، حتى إخوتها لم يعد أحد منهم يتحملها، أرشدينى ماذا يمكننى أن أفعل لأساعدها؟

- إذا استمرت على هذه الحال سأفقدها إلى الأبد.

قالت الطبيبة: سوف أكتب لكِ أسماء بعض الأدوية التي يمكن أن تساعد فى مثل حالتها، لكن عليكِ أن تكونى حذرة جدًا فى جرعات وأوقات الأدوية، فإذا زادت الجرعة يمكن أن تصبح مدمنة، وهذا أسوأ بكثير مما هى عليه الآن، فجسدها الآن سيتقبل أى مخدر بسهولة، أصبحت لديها القابلية لهذا، وكل ذلك لن يغنى عن إدخالها المصحة، عليكِ الآن أن تعطيها الدواء وتجعليها تحت الملاحظة دائمًا، أبعدى عنها أى نوع من الآلات الحادة، وأبعدى أيضًا أى نوع من الأدوية حتى ولو كان غير مضر، ويجب أن يرافقها أحد أو يتبعها إذا خرجت من المنزل، فنحن لا نعلم كيف ستفكر في إيذاء أنفسها، وهناك الكثيرون ممن سيشجعونها على ذلك.

وأيضًا عندما تكونوا جالسين معًا، يجب أن يتحدث جميع من حولها عن كل ما هو إيجابى فقط، وأن المستقبل سيكون أفضل، وأن هناك أملًا دائمًا، وتعمدوا الضحك أمامها، ولكن دون أن تشاركوها الحديث، وإذا حاولت أن تشارك فى الحديث بكلمات تولد السلبية، غيروا الموضوع ولا يرد أحد عليها.

وأتمنى أن يؤتى هذا نتيجة جيدة لنستطيع إدخالها إلى المصحة النفسية.

قالت والدة "زينب":

حسنًا.. سأفعل ذلك، وليكن الله معنا.

خرجت والدتها من عند الطبيبة، واشترت الدواء، وعادت إلى المنزل مباشرة وهى منهارة من البكاء، تتمنى أن تستطيع إنقاذ ابنتها من تلك الحال التى وصلت إليها، وقالت فى نفسها:

كيف تحولت تلك الفتاة الجميلة المحبة إلى ذلك الكائن الغريب الذى لا علاقة له بالبشر، نعم أعلم أنها تعرضت كثيرًا لمواقف مؤلمة، لكن ليس لهذه الدرجة، وحتى الطب يقف عاجزًا أمام تلك الحالة، سأفعل ما قالت الطبيبة .. كيف أستطيع مساعدتها وإحساسى بالعجز يقتلنى، فأنا لا أريد أن أفقد ابنتى.

من ناحية أخرى، كانت "زينب" جالسة فى المنزل، تشاهد البرامج المملة، التى تنشر الطاقة السلبية من دون ثمن، تتناول الكثير من القهوة، وتشعل السجائر، وقد بات الظلام يغطى وجهها، لقد وصلت إلى حال من الفناء الروحى، فقد تحطمت نفسها مع بقاء الجسد المادى حيًا.

إنها لا تستمع لأحد ..

لا ترى جمالًا فى الخلق .. لا تشعر بالراحة .. توقف عقلها تمامًا ..

توقف قلبها عن الشعور ..

لا تريد أن تتحدث مع أحد ..

تُسيء إلى كل من يحاول أن ينصحها .. أصبحت محطمة.

***

العودة إلى النور:

- مرحبًا بعودتك أيها الفتى الغاضب.

قالها الصياد لوعد وهو يبتسم جالسًا أمام النار الموقدة يحضر الطعام.

اقترب منه "وعد" مبتسمًا وهو يقول بسخرية:

لم أعد ذلك الفتى الغاضب، لقد أصبحت شخصًا مختلفًا الآن.

رد العجوز ضاحكًا:

حسنًا .. حسنًا.. لا تكثر من الكلام واجلس تناول طعامك أولًا، إنه جاهز.

كان "وعد" مشتاقًا لتذوق هذا الطعام مرة أخرى، وكان سعيدًا جدًا بعودته لذلك المكان، فلديه الكثير من الأسئلة التى تشغل باله، نظر الصياد العجوز إليه وقد سمع ما يدور فى باله بالطبع، وقال مبتسمًا:

مازلت تفكر كثيرًا وتملأ رأسك بما لا تملك إجابة له، قلت لك أَنهِ طعامك وبعدها سأجيب عن كل شيء، وسأعلّمك كل ما تحتاج إليه، يبدو لى أنك أصبحت مستعدًا رغم أننى توقعت أنك ستستغرق مدة أطول من ذلك، لكنك وصلت أخيرًا.

ابتسم "وعد" وتذكر تلك الفتاة الجميلة التى لا تغيب عن باله، وملامحها التى لم ينسَها لحظة منذ أن رآها.

أكمل "وعد" طعامه مستمتعًا به، ثم سأل الصياد العجوز:

- هل يمكننا تناول الشاى الساخن معًا؟

رد العجوز:

- نعم بالتأكيد، كل شيء معد مسبقًا، فقط ضعه على النار، إنه بجوارك.

أخذ ذلك الوعاء ووضعه على النار، لكن النار كانت ضعيفة جدًا، وتكاد تنطفيء، فنظر إليها مبتسمًا وقال: هل يمكنكِ أن تشتدّى قليلًا.

لم ترد النار عليه، ولم يحدث شيء، تعجب "وعد" من ذلك، ونظر إلى النار من جديد وأمرها أن تشتعل أكثر، فهبت النار بقوة كبيرة جدًا، حتى كادت أن تبتلعه وهو جلس فى مكانه، لكن العجوز أمسك به وأبعده عنها، ثم ألقى عليها الماء سريعًا وأطفأها.

نظر العجوز إلى "وعد" غاضبًا، وقال:

هل جننت؟!، لا يعني أنك تعلمت لغة الأشياء أنه يمكن أن تستخدمها فى أى وقت ومع أى شيء، لا تحاول أن تأمر أى شيء مجددًا، فهم ليسوا عبيدًا لك لينفذوا كل شيء تأمرهم به.

قال "وعد": لكني تحدثت مع البحر وكان مسالمًا لى، وكذلك القمر والريح، لم يتعامل أحدهم معى بتلك الطريقة، لماذا لم تفعل النار مثلهم؟!.

أخذ الصياد العجوز نفسًا عميقًا وقال:

من تتحدث عنهم قد تم تسخيرهم لنا، أما النار فشرها أكبر من خيرها، نحن نحاول أن نأخذ منها ما يفيدنا فقط وبحذر شديد؛ لأنها خلقت لشيء مختلف، إنها عقاب، فمهمتها الأولى هى أكل وتعذيب من هم مثلى ومثلك من الظالمين وغيرهم ممن يسيئون للخالق.

لذلك هى دائمًا غاضبة ولا يمكن لأحد التحكم فيها.

قال "وعد" وهو نادم على ما فعل:

أعتذر منك، لم أكن أعلم هذا، أعدك بأن لا يتكرر هذا الأمر مرة أخرى، لقد فهمت الدرس جيدًا.

قال الصياد:

والآن لنتفق على أمر مهم أولًا.

ـ ما هو؟

ـ يجب أن لا تستخدم تلك اللغة مرة أخرى حتى أخبرك بهذا، مسموح لك بالتحدث للقمر فقط.

قال "وعد": كما تريد، سأفعل كل ما تقول.

ابتسم الصياد قائلًا:

الآن يجب أن تستريح قليلًا، فأنت متعب، وأنا أيضًا، اذهب ونم، وعندما تستيقظ سأخبرك بكل شيء، ولا تزعجنى بأفكارك فأنا أحب الهدوء.

ضحك "وعد" مقهقهًا، وقال:

حسنًا.. لك ما طلبت، ولكن ليست أفكاري هي التي ستزعجك أثناء نومي.

ضحك العجوز وقال:

لا تكثر من الحديث الآن، وهيا اذهب واسترح قليلًا.

اتجه "وعد" نحو الكوخ لينام، فوقف الصياد أمامه ومنعه قائلًا:

انتظر، لن تنام هنا، فهذا الكوخ لى أنا، أما أنت فلك كوخ آخر هناك بالقرب من تلك الصخرة الكبيرة، اتجه "وعد" نحو الكوخ ودخل، فاكتشف أن الكوخ من الداخل ما هو إلا غرفته التي فوق سطح المنزل تمامًا، فملابسه وسريره وكل شيء حتى كلبه، كان كل شيء كما هو.

كانت مفاجأة لم يتوقعها "وعد"، لم يكن يصدق ذلك، إلا أنه بعد كل ما حدث له، لم يستطع أن يفرق بين ما هو واقع وما هو خيال.

استلقى "وعد" على سريره وصعد الكلب بجواره وغطَّ فى نوم عميق.

فى صباح اليوم التالى، استيقظ الجميع على صوت الطيور التى تحلق فوق كوخ "وعد" وكوخ الصياد العجوز.

خرج "وعد" ليشاهد هذا المنظر الرائع، فهناك الكثير من الطيور بأنواعها المختلفة تحلق معًا فوق الكوخ مباشرة فى شكل دائرى، مصدرة أصواتًا مختلفة تغرد معًا لحنًا يريح الأعصاب، ويبعث الأمان فى النفس.

وبمجرد أن استيقظ الجميع ذهبت الطيور كل منها يحلق فى طريقه.

ألقى العجوز التحية على "وعد" وقال:

هيا أيها الفتى اذهب للبحر وأحضر لنا الطعام.

رد "وعد" متعجبًا: لكني لا أجيد الصيد؟

ضحك العجوز قائلًا:

ولا أنا أجيده أيضًا، لا يشترط أن تجيد الصيد لتحضير الطعام، فما لك هو لك، عليك أن تتحرك وتتجه نحوه فقط وسيأتى هو إليك.

تعجب "وعد" من ذلك الكلام، واتجه نحو البحر ووقف عاجزًا لا يدرى ما عليه فعله، فجاء صوت العجوز من الخلف قائلًا:

إن لم يأتِ لك ما لك فليس عليك سوى أن تطلبه بطريقة مهذبة.

نظر "وعد" للبحر وقال له:

هل يمكنك أن تحضر لنا طعامًا من فضلك.

لم يرد عليه البحر، ثم ظهرت موجة صغيرة فجأة وبدأت تقترب من الشاطيء نحوه، حتى وصلت إليه، ثم عادت مرة أخرى بعد أن تركت الكثير من الطعام أمامه.

نظر إلى ذلك الطعام متعجبًا من هذا الأمر، لقد أسعده ذلك جدًا ورسم ابتسامة على وجهه، حمل الطعام وذهب نحو الصياد الذى جمع الحطب وأشعل النار، جلس أمامه وأعطاه الطعام، ثم سأله:

- هل بهذه الطريقة يصبح الطعام بهذا المذاق الذى عودتنى عليه؟

قال العجوز:

- لا، أنت فقط أخذت ما هو لك، ولكن لتجعل مذاقه أفضل عليك أن ترضى.

- قال وعد: وكيف أفعل ذلك؟

رد العجوز:

إذا لم يعرف طعامك أنك راضٍ به سيخرج منه النور، عليك أن تشعر بالرضا فى قلبك أولًا، ثم عليك أن تخبره أن روحك يوجد بها نور.

فنور الروح يأتى من الرضا.

أغمض عينيه وأخذ نفسًا عميقًا، راضيًا تمامًا بما حصل عليه، فشعر بوخزة خفيفة فى قلبه، ثم اقترب من الطعام وقال له:

- يوجد نور بها،، ووضعه على النار.

وعندما انتهى من تحضيره وبدأ في تناوله، وجد أنه أطيب ما تذوقه فى حياته، فسأل العجوز:

- وما معنى تلك الكلمات التى قلتها للريح لتأتى بى؟

رد العجوز:

- "أخرجه إلى النور"... لقد طلبت إخراجك إلى النور فقط، فعندما تضيق بك الحال وتحتاج إلى المساعدة، لتحصل عليها يجب أن تخرج من ظلمة نفسك إلى النور، والآن عليك أن تنهى طعامك، ثم أخبرك عن أشياء يجب أن تعرفها جيدًا وهى تدور في بالك دائمًا.

انتهى "وعد" من طعامه سريعًا متشوقًا لمعرفة الإجابات على تلك التساؤلات فى ذهنه.

أخرج تلك الرسالة التى أعادها البحر إليه وسأل العجوز عن الحظ العثر؟

التفت إليه العجوز قائلًا:

لا يوجد شيء بهذا الاسم، ليس هناك حظ سييء وحظ جيد؛ ما حدث لك وتعتقد أنه حظ عثر ليس إلا اختبار لك وتدريب أيضًا لتجهيزك لملاقاة قدرك.

موت والدتك .. والحب الذى بحثت عنه فى كل مكان .. وكلما وجدته انتهى بكسر قلبك، أنت تعتقد أن قلبك قد تحطم، ولكن الحقيقة أنه أصبح أقوى، إن القلوب مثل المعدن، والحب مثل النار، فإذا عرَّضت المعدن لنار قوية انصهر، وهنا يمكن تشكيله بسهولة، ولكن عندما يتم تبريده بالماء فجأة، يصبح أكثر صلابة من البداية، ولصهره من جديد عليك أن تعرضه للنار أكثر لتستطيع صهره، فإذا تم تبريده فجأة بالماء يعود أصلب بكثير من البداية، وهكذا .. حتى لا يصبح قابلًا للصهر من جديد، وأنت وصلت إلى هذا الحد؛ لذلك لم يعد قلبك يؤلمك على الحب الذى فقدته.

أما الفقر وضيق الحال الذى عشت فيه .. فقد كان لتكوين شخصية أقوى، والقضاء على الضعف الذي في داخلك، وتعليمك عدم الاستسلام تحت أى ضغط، وجعلك أكثر قيمة، فما قطعة الماس إلا

حجر تعرض لحرارة شديدة وضغط عالٍ، فكلما كان الضغط أكبر، لمع الحجر أكثر، وأصبح ذا قيمة أعلى.

لقد توالت الأحداث المؤلمة والمواقف الصعبة عليك، ولم يكن هذا عقابًا أو غضبًا من الذى خلق كل شيء، بل كان تمييزًا لك، فلتنال شيئًا تتمناه بشدة، يجب أولًا أن تستحقه، فلن تتذوق إحساس الوصول إلى القمة إلا بعد تذوق مرار القاع.

كان وجه "وعد" يزداد نورًا مع كل كلمة يستمع إليها من الصياد، وأصبح الآن يعلم جيدًا سبب حدوث كل ما مرَّ عليه، لكن ما زالت هناك أشياء يريد أن يفهمها، فسأل الصياد: كيف إذًا يمكن أن يكون ما يحدث الآن واقعًا رغم تناقضه مع العقل البشرى؟!.

فرد العجوز: وما أدراك ما هو الواقع؟

إن كل ما تراه عيناك هو باطل، ولا يوجد سوى الحق وهو الخالق، لا يمكننا أن نرى الخالق، ورغم ذلك نؤمن به؛ لأنه الحق، فهناك إمكانية للوصول إلى معرفة الخالق عن طريق تجربة شخصية، فيمكن أن تكون تجربة روحية خارج إطار الواقع، فمثلًا يمكن أن تكون الآن فى مكان آخر، وإدراكك فقط هو ما يرانى ويسمعنى الآن.

رد "وعد":

إذن.. يمكن أن يكون كل ما يحدث هنا هو مجرد حلم وأنت لست سوى شخصية من نسج خيالى.

قال العجوز:

كل شيء ممكن، لكن إن لم يكن هذا واقعًا، فهو أيضًا ليس حلمًا من خيالك، بل هو رسالة من الخالق لك، يريد أن يميزك بها.

وماذا عن شبح الماضى الذى يطاردنى دائمًا؟.

ابتسم العجوز قائلًا:

شبح الماضى لا يستطيع مطاردتك؛ لأنه ليس موجودًا من الأساس، فالعمر مثل خط مستقيم بين نقطتين، الأولى هى الماضى، والثانية هى المستقبل، وتفصل بينهما نقطة لا تتعدى لحظة من الزمن، وهى الحاضر، تلك اللحظة هى الفاصل الوحيد بينهما، فكلما تحركت النقطة نحو المستقبل زاد الماضى وقل زمن المستقبل، فمثلًا، حديثنا هذا أصبح من الماضى؛ لذلك لا تقلق من الماضى، فهو لا يملك أشباحًا، إنه الأرض التى يبنى عليها المستقبل، وفى النهاية، كل هذا ما هو إلا تحضير لحياة أخرى فى مكان أفضل، صنعه الخالق لنا، إنه الجنة، وهذا عالم خارج إطار الزمن وخط الماضى والمستقبل.

وقف "وعد" ساكنًا بعد ما أدرك كل هذا، وبقى سؤال واحد يشغل باله:

ما هو الشيء الذى كنت أستعد له كل هذا؟

لقد عشت حياتى كلها فى ذلك الألم لسبب معين كان يحضرنى له الخالق،

هل تعلم السبب؟.

نظر له العجوز نظرة عميقة وقال:

هذا شيء لا يمكننى الإجابة عليه، فهو يخص المستقبل، وعلم المستقبل من الغيب، لا يعلمه سوى الخالق وحده، ولم يعط هذا العلم لأحد، ذلك السبب سيكشفه لك الخالق حين يأتى موعده.

مد العجوز يده فى حقيبته المهترئة وأخرج حجرًا صغير الحجم، زمردي اللون يشع ضوءًا خفيفًا، ثم أعطاه لوعد قائلًا:

هذا حجر "نورجهان" إنه لك الآن، حتى يؤدى مهمته وبعدها سيعود إلى حيث ينتمى.

أخذ "وعد" الحجر وسأل العجوز:

مافائدة هذا الحجر وفيما سأستخدمه؟

رد العجوز قائلًا:

حجر نورجهان، هو حجر ثمين جدًا يبحث عنه الكثير منذ عقود، لا يمكن لأحد أن يملكه، فهو ذو طبيعة مستقلة، يذهب فقط لمن يستحقه، ومهمته هى الإرشاد إلى الطريق الصحيح، سينبئك بطريقك عندما تفقده، وسيأتى لك بما تستحق، ولديه القدرة على تبديل الظلام نورًا، لن يعمل الحجر حينما تريد ذلك، بل يعمل عندما يكون الوقت مناسبًا، عليك أن تعلم أيضًا أن نورجهان معناه "نور الدنيا" وستعرفه جيدًا فى الوقت المناسب لذلك.

أما الآن ... فستبقى معى بضعة أيام حتى ينتهى تدريبك وتأتى الإشارة برحيلك.

أصبح "وعد" شخصًا هادئًا جدًا، لم يعد ذلك الفتى المتسرع كما كان، لقد تغير بالفعل، إنه الآن أفضل.

والآن لنأكل شيئًا ونرتاح قليلًا، لقد استغرق حديثنا النهار بأكمله.

ذهبا معًا وتناولا الطعام، ثم شربا كوبًا من الشاى الساخن،

فى تلك الأثناء خيم الليل سريعًا، استلقى "وعد" على رمال الشاطيء الدافئة، ونظر إلى القمر وأخذهما حديث قصير، فى ذلك الوقت ومض ضوء أحمر فى السماء بقوة، ثم عادت السماء سريعًا لما كانت عليه.

شعر بالقلق، والتفت إلى الصياد فوجده يطفيء النار التى تضيء لهما، ثم نظر للسماء، وقال للقمر: لا تجعل ضوءك يغيب عنا هذه الليلة حتى تخرج الشمس.

تعجب "وعد" كثيرًا وسأله ماذا يحدث؟

رد الصياد وقد بدت على ملامحه الجدية:

هناك من يراقبنا من بعيد، هذا الوميض إشارة لوجود عين شر تراقبنا باهتمام، ربما يكون المنبوذ.

ومن المنبوذ هذا؟!!

المنبوذ هو من كان يعيش فى سلام وراحة، وكان فى أعلى الأماكن، لكنه اعترض على حكمة الخالق عندما خلق البشر، هو من توعد أن يجعل مصيرنا جميعا مثله، غذاء للنار، لقد قاده كبرياؤه وغروره إلى

تحدى الخالق، فلعنه هو ومن يتبعه منا، ومنذ ذلك الحين لا هدف له سوى إغوائنا في طريقه، والابتعاد عن طريق الخالق، وهذا هو المنبوذ.
أحيانًا ينجح وأحيانًا أخرى لا، وهذا يعتمد على النور الذي في داخل الهدف.

لكن هذه إشارة جيدة فى الوقت نفسه، فنحن نعلم الآن أنه يتربص بنا ونعلم أيضًا أنك تتقدم بسرعة، وتخرج إلى النور.
هذا ما جعله يأتى إلى هنا ليراك، ويجهز خطته لإعادتك إلى الظلام مرة أخرى.
والآن .. ذهب كل منهما إلى كوخه الخاص، واستلقيا حتى الصباح.
استيقظا وقت شروق الشمس، خرج كل منهما ينظر فى السماء ويلقي التحية على كل الكائنات، أحضرا الطعام وتناولاه كعادتهما، ثم ذهبا إلى أعلى نقطة فى الجزيرة، وأعاد الصياد تدريب "وعد" من جديد.

كان العجوز يُعلِّم "وعد" كل ما يَعلَم، مرت أيام معدودة يفعلان فيها هذا كل يوم، حتى فنون الدفاع عن النفس علمه إياها، وطرق التأمل والسيطرة على النفس، وطرق التحكم فى طاقاته الداخلية، وكيفية استخدامها.

وفى يوم من الأيام، وبعد الانتهاء من التدريب، عادا معًا إلى الشاطيء وتناولا الطعام والشاى الساخن، ثم دخل العجوز إلى كوخه لينام، استلقى "وعد" على الشاطيء ليبدأ الحديث مع القمر مثل كل يوم، وأثناء حديثهما سأل "وعد" عن "زينب" وكيف حالها؟

نظر القمر بعيدًا ثم عاد بنظره، وقال:

- لم تعد كما كانت، لقد استهلك الفناء روحها، وسيطر شر كبير عليها، يقف الجميع عاجزين أمامها، لا أحد يستطيع مساعدتها، إنها بحاجة لمن يستطيع إعادتها للنور مرة أخرى، فقد سيطر عليها كيان الشر بذاته، إنه المنبوذ نفسه.

خرج الصياد مسرعًا بعد أن سمع ما قاله القمر، وكانت علامات الغضب تبدو عليه، تعجب "وعد" وسأله:

- ما بالك أيها العجوز؟! هذه المرة الأولى التى أراك فيها غاضبًا هكذا!

فنظر إليه الصياد وعيناه مغرقتان بالدموع وقال:

مازال المنبوذ يجيد اختيار ضحاياه، لقد سيطر على تلك الفتاة التى لا مثيل لها ليدمرها، وإن نجح فى ذلك، سيكون من أعظم انتصاراته، فهو لا يستهدفها وحدها، بل يريدك أنت أيضًا، فأنت له هدف عظيم، إنه يفعل ذلك لأنه يعلم أنك ستذهب محاولًا إنقاذها، فهو يعلم أنك تحبها من أعماقك، ويعلم أيضًا أننى لن أمنعك من الذهاب، وكل هذا يعنى أنه استعد لذلك جيدًا، فهو لا يترك مجالًا للخطأ.

ابتسم "وعد" هذه المرة وقال:

- أتعلم أيها العجوز، أنا أشفق على المنبوذ هذا.

نظر له العجوز متعجبًا مما قاله وسأله: كيف تشفق على مثل هذا؟

رد "وعد" وما زالت ابتسامته تعلو وجهه:

إنه مجرد مخلوق يائس، يعرف مصيره جيدًا، يفعل كل هذا لأن الغضب والحقد قد أعمى بصيرته، يعلم جيدًا أنه أخطأ، لكن كبرياءه يمنعه من الاعتراف بذلك، لم تعد له قيمة عليا، وهذا يدمره، ليس لديه هدف يموت من أجله، ومن ليس لديه هدف يموت من أجله ليس لديه شيء يحيا من أجله.

إنه ملعون إلى نهاية الزمان، فهو مجبر على أن يحيا، مجرد فكرة "أنه لا يموت" وحدها كافية لتدميره من الداخل.

ابتسم العجوز راضيًا عن حديث "وعد" قائلًا:

يبدو أنك تفوقت على نفسك أخيرًا، الآن فقط أنت مستعد لمواجهة أى شيء، وأقولها وأنا على يقين بها، ولكن لماذا قلت إنه بلا هدف؟

فالجميع يعلم أن هدفه هو تدمير بني البشر لينفذ وعده.

ابتسم "وعد" وقال:

ربما تكون محقًا، ولكن هذا ليس بهدف، إنه مجرد التزام بوعد، أما الهدف فهو ما يسعى له المخلوق لكى يشعر بوجوده وبالسعادة، وأساس الأهداف كلها هو رضا الخالق وليس غضبه، والمنبوذ يعلم أنه فى كل الأحوال مصيره العذاب، فمهما فعل لن يغير ذلك من مصيره شيئًا، إذن .. لن يعود عليه بفائدة، وحتى إثبات أنه الأفضل ليس بهدف، إنه على يقين تام بأن الخالق لن يزيده أو ينقصه شيء، فهو من خلق المعرفة ولا يخطيء أبدًا، والمنبوذ يعلم ذلك جيدًا.

لكن كبرياءه هو ما يحركه الآن، إنه مجرد مخلوق يائس يقوده الغضب.

نظر العجوز مندهشًا إلى "وعد" والسعادة تشع من عينيه، ونظر حوله ليرى كل المخلوقات التى تجمعت حوله تنصت لكلام الفتى الذى أصبح يُعلِّم معلمه.

أنا فخور بك أيها الشاب الصالح، من الواضح أن الخالق أحسن تعليمك، يومًا ما ستصبح ذا شأن عظيم، والآن يبدو أن هذه هى إشارة رحيلك، فمهمتك الأولى قد بدأت، عليك أن تذهب وتنقذ "زينب" وتحبط مخطط المنبوذ، وعليك أن تحسن تعليم الفتاة، كما أُحسِن إليك فى تعليمك.

ابتسم "وعد" قائلًا:

لا تقلق أيها الصديق، فالخالق معنا ولن يتركنا أبدًا، فنحن أقوى به، والآن يجب أن أذهب، ربما يكون هذا اللقاء الأخير بيننا، لكنك لن تفارقنى أبدًا، سيبقى ما علمتنى إياه حيًا حتى بعد أن أموت.

احتضنه العجوز بقوة، إنها المرة الأولى التى يفتقد فيها أحدًا.

ملأت الدموع عينيه على فراق تلميذه وقال له:

اذهب وفقك الخالق، ولتكن مثلًا للصالحين وسيفًا على الظالمين.

نظر "وعد" إلى البحر بعد لحظة الوداع تلك وقال:

أخرجنى إلى النور..

وسكن كل شيء ...

فى قلب الظلام:

- "زينب"

هيا استعدى وارتدي ملابسك، إنه موعد الطبيبة، ولا تنسي أن تتناولي أدويتك قبل أن نذهب.

- لا، أنا لن أذهب لأحد.

- ولِمَ لن تذهبى؟

- لأننى أريد ذلك، ولن أتناول أى أدوية أيضًا.

- يا بنيتى، لا تنهكى قلبى معك، فنحن نتعذب من أجلك.

لا يهمنى إن تعذبتم أو لا، أنا لا أفعل سوى ما أريد وقتما أريد، ولن أسمح لأحد أن يأمرنى بأى شي، أنا أحب نفسى على هذه الحال، فقط اتركونى وحالى.

بكت أمها ودعت الخالق أن يعفو عنها ويعيدها مرة أخرى تلك الفتاة التى أحبها الجميع، ثم أومأت ببصرها إلى الأرض، وذهبت إلى غرفتها ولم تعلق بكلمة، لم تكن قادرة على فعل شيء سوى الصلاة والدعاء لابنتها، راجيةً من الله أن يعيدها إليها.

ارتدت "زينب" ملابسها وخرجت مسرعة من المنزل من دون أن تخبر أحدًا. قدم لها أمام المنزل ثلاثة شبان بسيارة، كانت تلازمهم فى الفترة الأخيرة اصطحبوها وذهبوا إلى ملهى ليلى.

كان هذا المكان تمارس فيه كل أنواع الفواحش، وأصبحت تحب هذا المكان كثيرًا، لا أحد هنا يعترض على أى شيء تفعله، فكل ما تريده تجده، والجميع يشجعها على ذلك.

جلست "زينب" على "البار" بينما كان أصدقاؤها يرقصون مع فتيات تعملن فى هذا المكان، كان كل شيء مباحًا، ولا مكان للأخلاق والمبايء.

نظرات الغرور والتكبر تخرج من عينيها، فقدت مبادئها وأخلاقها.

حتى هيئة ملابسها تغيرت، بعد أن كانت ترتدى الحجاب وتغطى جسدها بالكامل، خلعت حجابها وغيرت ملابسها، وأصبحت ترتدى مثل فتيات الليل، ولم تعد تبالي بأى شيء.

طلبت من عامل البار زجاجة ممتلئة بالخمر، وظلت تشرب حتى لم تعد تشعر بأى شيء.

وفي هذه الأثناء، جلس بجوارها شاب وسيم، ملامحه توحى بأنه ليس من هذا البلد، لقد كانت كل الفتيات ينظرْن إليه ويحاولْن مرافقته، لكن هذا الشاب كانت عينه مع "زينب"، جلس بجوارها ونظر إليها مبتسمًا وقال:

- كل ما تطلبه هذه الفتاة أنا كفيل بثمنه.

كان يتوقع منها الرفض، لكنها لم تفعل، لقد قبلت بكل بساطة ونظرت إليه قائلة:

لن أرفض طلبك هذا، لكنها طريقة قديمة جدًا لإغراء فتاة، فلا شيء يغرينى.

ابتسم الشاب ـ الذى كان سعيدًا جدًا بردة فعلها هذه ـ وطلب منها أن ترقص معه، فوافقت وذهبا معًا للرقص.

ظلا يرقصان حتى شعرت "زينب" بالتعب، وطلبت منه الجلوس، فعادا إلى مكانهما وتناولا المزيد من الخمر، أخرج الشاب شريطًا من الأقراص المخدرة، وأعطاها بعضًا منه قائلًا:

- خذى هذه وابتلعيها بالخمر، وسيعود إليك النشاط مرة أخرى، يبدو أنك ترهقين بسرعة، وافقت بسهولة وأخذتها منه، وتناولتها بكأس من الخمر، فابتسم الشاب ابتسامة رضا، لقد كان ناجحًا حتى هذه اللحظة فى إغواء تلك الفتاة.

شعرت "زينب" بالنشاط من جديد، وجرت الدماء فى عروقها سريعًا، وطلبت أن ترقص مجددًا، فتقدما ليرقصا.

الصوت فى المكان صاخب .. الجميع فاقد الوعى .. الكل يرقص فى ازدحام شديد .. هى ليست مهتمة .. ما زالت ترقص مع ذلك الشاب، وهو يداعب جسدها بيده محاولًا إثارتها .. لا تعترض على ذلك .. تتركه يفعل ما يريد ..

الازدحام يزداد.. الصوت يزداد صخبًا .. الحرارة ترتفع بشدة .. كل شيء يلمع ..

نجح أخيرًا فى إثارتها، مال على أذنها وطلب منها أن تذهب معه إلى السيارة،

سيأخذها إلى مكان أفضل.

وافقت من دون مقاومة، ذهب إلى عامل البار لدفع حسابهما، ثم عاد إليها وأمسك بيدها وضمها إليه، وانطلقا خارجين من المكان.

عندما اقتربا من باب الخروج، امتدت يد وأمسكت يد "زينب" بقوة لتوقفها،

- التفتت بعنف لترى من الذى أمسك بيدها.

إنه "محمود" أخوها الأصغر.

لقد خرج وراءها من المنزل ليعرف أين ستذهب بهذه الملابس العارية وتلك الشخصية المريضة التى يجب أن تخضع للعلاج النفسي.

لم تتغير ملامح وجهها عندما رأته، فقد أصبحت متبلدة المشاعر، أزاحت يده بقوة من دون أن تتكلم، وأمسك به الشاب وانهال عليه ضربًا، حاول "محمود" المقاومة ورد الضربات وهو يصرخ قائلًا: إنها أختى.

كان يحاول حماية أخته الكبرى من إيذاء نفسها، واستمع الشاب جيدًا لما قاله محمود، لكنه تعامل معه وكأنه لم يسمع شيئًا، فهو يعلم أنه أخوها.

كل هذا يحدث وزينب لا تحرك ساكنًا، ولا تهتم أبدًا بما يحدث.

ظل هذا العراك دائرًا دقائق معدودة، حتى أتى الحرس الخاص بالمكان وأمسكوا بمحمود وتركوا الشاب الآخر، لقد كانوا يعرفونه جيدًا، وسألوا:

ماذا يحدث؟.

فأجابهم "محمود" قائلًا:

إنها أختى، وهى ليست في وعيها، وقد جئت لأعيدها إلى المنزل.

نظر إليها الحارس قائلًا:

حتى وإن لم تكن في وعيها فهى ما زالت تميز إن كنت أخاها فعلًا أو لا.

وهنا خرجت "زينب" أخيرًا عن صمتها وقالت:

أنا لا أعرف هذا الشاب، ليس لى إخوة !

ثم استدارت وأمسكت بيد الشاب وخرجا.

لم يكن "محمود" يصدق ما سمعه، لقد تبرأت منه أخته التى ربته، فأظلمت الدنيا من حوله فى هذه اللحظة، أمسك به الحرس وألقوه خارجًا ثم انهالوا عليه ضربًا وهو يبكى، ليس من الألم ولكن على أخته الكبرى التى كانت مثله الأعلى، والتى ذهبت أمام عينيه مع ذلك الشاب من هذا المكان سيىء السمعة بتلك الملابس، ولم يستطع فعل شيء، لقد كان عاجزًا تمامًا.

أخذ الشاب "زينب" وركبا سيارته، ثم أخرج من جيبه كيسًا ممتلئًا بمخدر الهيروين، أخذ بعضًا منه وقام باستنشاقه، ثم أخرج جرعة أخرى وجهزها وأعطاها إياها فلم تتردد لحظة قبل استنشاقها، ثم تحرك

الشاب بالسيارة متجهًا إلى منزله، ليستولى على تلك الفتاة التى استسلمت تمامًا له، ولم تقاوم أو تعترض حتى بكلمة، يبدو أن هدفه يقترب من النجاح.

ارتسمت ملامح السعادة على وجه ذلك الشاب، وهو ينظر بشهوة إلى تلك الفتاة الملقاة بجواره، تكاد لا تستطيع الحركة.

وصل الشاب أمام المنزل وأوقف السيارة وخرج منها واتجه نحو باب "زينب" وفتحه لها لتصعد معه، لكنها لم تكن قادرة على الحركة، فحاول حملها، لكنها منعته من ذلك، وقالت:

- أنا متعبة جدًا، لا أستطيع حتى أن أفتح عينى، أريد أن أعود إلى منزلي.

استشاط الشاب غضبًا، إلا أنه لا يستطيع إجبارها على شيء، فرجع إلى السيارة وأعادها إلى المنزل.

كان الوقت متأخرًا جدًا، وكانت أمها وأختها الصغيرة تقفان أمام المنزل تنتظران عودتها وعودة "محمود" الذى لم يرجع بعد.

توقف الشاب أمام المنزل مباشرة وقبَّل "زينب" ووضع فى حقيبتها بعضًا من ذلك المخدر، وقال لها: أراك غدًا فى المكان نفسه.

خرجت "زينب" من السيارة وهي تكاد لا تستطيع الوقوف ووالدتها وأختها فى ذهول تام.

اقتربت منهما لتدخل المنزل، لكن أمها الباكية أمسكت يدها بقوة وسألتها بحدة:

أين كنتِ؟ ومن ذلك الشاب؟ وأين محمود؟!.

فنظرت إليها بسخرية قائلة:

هذا ليس من شأنك، لقد أخبرتك من قبل بأن لا تحاولى التدخل فى شئونى الخاصة، وليس لى علم بأحد، فليأتِ من يأتي، وليذهب من يذهب، هذا ليس من شأنى، ثم انتزعت يدها بقوة وتركتهما ودخلت المنزل.

دخلت إلى غرفتها وأغلقت الباب من الداخل على نفسها، ثم نزعت ثيابها وجلست على سريرها، تناولت المزيد من المخدر، وأشعلت السجائر وظلت هكذا حتى انقضى اليوم...

***

فى مكان آخر... كان "زين" الأخ الأكبر لـ "وعد" يعيش حياة صعبة بكل معانى المعاناة، رغم أنه مازال شابًا لا يتجاوز الخامسة والثلاثين من عمره، إلا أنه متزوج، ولديه خمسة أطفال تتراوح أعمارهم بين سنة وثلاثة عشر عامًا..

"زين" يعمل فى مجال المقاولات، ورغم أنه يجيد عمله باحتراف، فإنه مازال عاملًا باليومية، إذا توفر العمل توفر المال، واستطاع أن يكفى مصاريف زوجته وأولاده، وإذا لم يتوفر العمل، لا يستطيع أن يكفيهم، وهذا حال الكثير مثله من شباب هذا البلد، انتقل "زين" وزوجته وأولاده للعيش مؤقتًا مع عائلة زوجته، بعد أن أخرجهم مالك المنزل وأعطاهم بعض المال، الذى ترك معظمه لـ "وعد" الذى اختفى ولم يجدوه منذ أن تركته "سلمى" وتزوجت.

كانت هذه الفترة هي الأصعب على "زين"، فى تلك الفترة لم يكن هناك عمل متوفر، والمال الذى معه أوشك على النفاد، ولديه أربعة من أطفاله سيبدأون عامًا دراسيًا جديدًا، وهو لديه الكثير من الديون، ولم يعد أحد يقبل أن يقرضه المال؛ لأن الجميع يعلم أن حالته صعبة ولن يستطيع رد الدين.

أظلمت الدنيا فى وجه "زين"، ولم يعد يعرف ماذا يمكنه أن يفعل؟

تمنى الموت، فهو أهون عليه من أن يعيش بهذه الطريقة، رغم أنه كان يقدم دائمًا يد العون لكل من يعرفه إذا احتاج أحدهم المساعدة فى

أى شيء، ولم يكن يتأخر عن مساعدتهم، فإنه عندما أصبح هو من يحتاج المساعدة تخلى عنه الجميع.

حتى فى العمل، فزملاؤه الذين كانوا يعملون معه، ومعظمهم هو من علمهم ذلك العمل، أصبحوا الآن مقاولين، يأخذون عملًا لحسابهم الخاص، ويطلبون من "زين" أن يقوم هو بتنفيذ هذا العمل، وبعد أن ينهيه لهم، ويكسبون منه الكثير، ما يكفي احتياجهم ويزيد، لا يعطون "زين" حقه الذى طلبه، والذى هو أقل بكثير مما يستحق، كل هؤلاء خذلوه، ولم يعد قادرًا على تحمل كل هذه الاحتياجات المطلوبة منه يوميًا.

لم يعد قادرًا على تحمل نظرات عائلة زوجته بسبب إقامته معهم، إنه حمل ثقيل، لا يقبل أحد تحمله، حتى وإن كان قادرًا على ذلك.

وفوق كل هذا لا يغيب عن باله أخوه "وعد" الذى لا يعرف أين ذهب أو كيف حاله.

استيقظ "زين" فى الصباح الباكر، وارتدى ملابسه وخرج من دون أن يشعر به أحد ليبحث عن عمل.

ذهب وتحدث مع كل من يعرفهم فى مجال عمله، لكنه لم يجد عملًا متاحًا معهم، ظل يمشى باحثًا عن عمل فى كل مكان، لكنه كان يعود خائب الأمل، وظل يمشى ويبحث حتى أظلم عليه الليل ولم يعد قادرًا على التقاط أنفاسه من طول المشى منذ الصباح الباكر.

عاد إلى الشارع الذي يسكن فيه وجلس على المقهى، لم يكن يريد أن يعود

إلى زوجته وأولاده خالى اليدين.

بدأ أصدقاؤه في التجمع كعادتهم فى هذا الوقت يوميًا، وجلسوا معه وظلوا يضحكون ويتبادلون النكات محاولين إخراج "زين" من اكتئابه، إلا أنه لم يكن قادرًا على أن يستمع لأحد منهم، فهو لا يرى ولا يفكر سوى في حاله وحال أخيه المختفى، حتى سأله أحد أصدقائه قائلًا:

- ألم تجد عملًا بعد يا "زين"؟

فرد بائسًا:

- لا لم أجد عملًا، فأنا أمشى منذ الصباح الباكر بحثًا عن عمل لكننى لم أجد شيئًا.

فرد صديقه:

- حسنًا .. لقد اتصل أحدهم اليوم بالمكتب عندى يطلب سيارة بسائق، وليس لديَّ سائقون هذه الفترة، فإذا أردت فمن الممكن أن تأخذ سيارة من عندى وتذهب بها معه، وأنا سأعطيك أجرك، وسأحاول توفير أجر جيد، هل معك رخصة القيادة الخاصة بك؟.

ملأت الفرحة وجه "زين" ورد على صديقه:

نعم، بالتأكيد، إنها معى، أنا لا أعرف كيف أشكرك على هذا.

ـ لا تشكرنى يا "زين".

ووضع يده على كتفه قائلًا:

لا تقل هذا فأنا لم أفعل شيئًا، كنت أريد أن أساعدك بما هو أفضل، لكنك تعلم الحال.

ابتسم "زين" ووضع يده على كتف صديقه قائلًا:

لا تقل هذا، فأنا أعلم الحال جيدًا، وما فعلته هذا هو أفضل شيء يمكن أن تساعدنى به، فهذا جميل لن أنساه أبدًا ياصديقى.

فرد صديقه:

- حسنًا.. غدًا فى الصباح تأتى معى لتأخذ السيارة وأعطيك عنوان وبيانات العميل لتذهب إليه.

عاد "زين" إلى زوجته التى كانت قلقة جدًا عليه، فهى لم تكن تعلم أين ذهب منذ الصباح، لكن قلقها هذا رحل بمجرد أن رأته يدخل عليها مبتسمًا.

فسألته:

- يبدو أنك وجدت عملًا، فأنا لم أرَ ابتسامتك تلك منذ فترة طويلة،

فرد عليها:

نعم، لقد وجدت عملًا، سأذهب فى الصباح الباكر إن شاء الله.

ابتسمت له زوجته سعيدة، وقالت:

حمدًا لله، هذه إشارة جيدة، وأنا على يقين أنه يوما ما سيتحسن كل شيء، وسيعوضنا الله خيرًا، وسنجد "وعد"، وسيكون كل شيء بخير.

ابتسم لها "زين" وقال:

سأدخل الآن لأنام، فأنا متعب جدًا، حتى أستطيع أن أستيقظ مبكرًا فى الصباح.

حسنًا أيها الزوج الصالح، أحلامًا سعيدة.

استيقظ "زين" مبكرًا وذهب مع صديقه، وأنهى كل الأوراق المطلوبة، واستلم السيارة، ثم أعطاه صديقه عنوان منزل الرجل الذى طلب السيارة ورقم هاتفه، ثم توكل على الذى خلقه وذهب فى طريقه.

استيقظت "زينب" من نومها على صوت هاتفها، فمدت يدها وأخذت الهاتف وردت عليه.

لقد كان الهاتف من العمل، فقد تأخرت عن موعدها، لكنها قالت إنها مريضة ولا تستطيع الحضور، ثم أغلقت الهاتف، وأكملت نومها.

واستيقظت فى المساء بعد مغيب الشمس، كان جسدها متعبًا جدًا من يوم أمس، لا يفارق الصداع رأسها.

مدت يدها وأخذت بعضًا من المخدر الذى بجوارها، ونهضت جالسة فى مكانها، وقامت باستنشاقه.

بعد بضع دقائق ذهب الصداع من رأسها، ولم يعد جسدها متعبًا وأحست ببعض النشاط.

نهضت من سريرها، وارتدت ملابسها ثم خرجت من غرفتها.

كانت أمها وأختها جالستين بالخارج، لم ينم أحد منهما منذ يوم أمس، تنتظران عودة "محمود" الذى لم يظهر من وقتها.

لم تُعرهما "زينب" أى اهتمام ونظرت إليهما بسخرية، فرمقتها أمها بنظرة حادة ولم تتحدث معها، لم تهتم "زينب" وتركتهما جالستين وخرجت من المنزل.

أوقفت سيارة أجرة ورحلت، لم تبالِ بذلك السائق الذى كان يتفحص جسدها بطريقة مريبة، لم تكن تهتم أبدًا بذلك، حتى وصلت إلى ذلك الملهى الليلى، فنزلت من السيارة ودخلت إلى الملهى.

كان ذلك الشاب جالسًا فى المكان نفسه الذى كانا جالسين به بالأمس ينتظر حضورها.

اقتربت منه "زينب" وألقت عليه التحية وجلست بجواره.

طلبت من عامل البار زجاجة الخمر نفسها، ونظرت للشاب وقالت:

هل كنت في انتظارى؟

رد عليها الشاب مبتسمًا بسخرية:

لا، لست في انتظارك، لكن المكان هنا أصبح مملًا جدًا وجميع من فيه أيضًا؛

لذلك أجلس وحدى.

فقالت "زينب":

أتريد أن تذهب إلى مكان آخر؟، أعتقد أننى مللت أيضًا من هذا المكان وأريد

الذهاب لتجربة شيء جديد.

فرد الشاب:

حسنًا.. ما رأيك أن نذهب إلى مكان أكثر هدوءًا من هذا المكان؟

فقالت "زينب" مبتسمة:

حسنًا.. دعنا ننهِ هذه الزجاجة أولًا ونتحرك بعد ذلك.

استمرا فى شرب الخمر والتدخين، وأعطاها المزيد من الهيروين، وبعد انتهائها اصطحبها وخرجا معًا، وركبا السيارة وتحرك بها.

استمر فى طريقه حتى توقف أمام مكان آخر فوق نقطة عالية من الجبل، إنه ليس بملهى ليلى، إنه مكان يطل على منظر رائع من أعلى الجبل، كان يقدم هذا المكان الخمر، لكنه كان هادئًا تمامًا.

دخل الشاب ومعه "زينب"، وجلسا على طاولة على حافة الجبل مباشرة، طلب الشاب المزيد من الخمر لكليهما، وفى أثناء ذلك قطع الهدوء السائد فى المكان ضحكات "زينب" العالية جدًا، التى جذبت انتباه الجميع إليها.

فنظر إليها الشاب وابتسم، لم يعترض على ذلك بل سألها:

ما الذى أضحككِ هكذا؟ يمكنك أن تشاركينى الضحك.

فقالت "زينب" : أضحك على نفسى.

فسألها الشاب مبتسمًا:

ما الذى تتذكرينه جعلك تضحكين هكذا؟، أريد أن أضحك أنا الآخر.

زالت تلك الابتسامة من وجه "زينب" وأخذت مكانها ملامح السخرية وقالت:

ما أنا عليه الآن يجعلنى أسخر من نفسى كثيرًا، ودائمًا ما أسأل نفسى كيف تحولت تلك الفتاة القوية والعملية والمسئولة إلى تلك الفتاة التى لا هدف لها ولا تهتم بأمر أحد، ولا حتى نفسها، فيما مضى كنت أملك الكثير من الأهداف، لكن الآن أصبح هدفى أن لا يكون لى

هدف، ورغم ذلك، فأنا أستمتع بحياتى هكذا، لكن هناك شعور يتملكنى لا أعرف مصدره بعد، إلا أننى أعلم أنه سيزول بمجرد تناول تلك المواد المخدرة.

ضحك الشاب مقهقهًا من حديث "زينب"، فعادت تضحك هى الأخرى معه، وسألته:

أتضحك على ما أنا فيه الآن؟ أم على ما كنت عليه فى الماضى؟.

فرد عليها: على ما كنتِ عليه بالطبع، تلك الشخصية الملتزمة التى تجعل كل شيء فى مكانه الصحيح، تحاول أن تكون محبوبة، تضحى من أجل الجميع على حساب نفسها، وتقيدها العادات والتقاليد لتتحول مع الوقت إلى مجرد دمية، تفعل كل هذا أملًا منها فى أن تجد حياة أفضل بعد الموت..،

كل هذا ما هو إلا وهم فى عقول البشر فقط، فامتناعهم عن أن يكونوا على طبيعتهم، ومنع رغباتهم وشهواتهم وحبسها في داخلهم لن يقودهم إلى تلك الجنة التى يعتقدون وجودها.

اعتلت نظرة تعجب وجه "زينب"، وسألته:

أتعتقد أن هذه مجرد معتقدات فعلًا؟ ولا يوجد شيء مثل الجنة إلا فى عقولنا!

سخر منها الشاب، وقال:

أنا أرى أن الأغبياء فقط هم من يدمرون حاضرهم معتقدين أن هناك مستقبلًا أفضل ينتظرهم، لا تشغلى بالك بتلك الأمور، استمتعى بما

تملكين، فأنت الآن على الطريق الصحيح، لا تسمحى لأحد أن يعيدك إلى ما كنتِ عليه فى السابق، فابتسمت وقالت:

هذا ما أفعله، أنا أفعل ما أريد فقط، ولن أسمح لأحد أن يجبرنى على فعل شيء لا أريده بعد الآن، ولن أهتم بأمر أحد غيرى، حتى أنت.

بدت السعادة على وجه الشاب قائلًا:

هذا ما أقوله تمامًا، أنتِ الآن تستطعين مواجهة أى شيء، ومن الجيد أيضًا أنك لا تهتمين بأمرى، فأنا أيضًا لا أهتم بأمر أحد حتى أنتِ، أنا فقط أستمتع برفقتك.

قالت "زينب":

هذا جيد، والآن بعد ذلك الحديث الممل أظن أننى أريد أن أخرج من هنا.

وقف الشاب، وذهب ليدفع ثمن طلباتهما، ثم عاد إليها واصطحبها وذهبا.

خرج الاثنان وركبا السيارة، وقال الشاب:

ما رأيك أن نذهب إلى منزلى، فهناك كل شيء متوفر، ولن يزعجنا أحد.

ردت "زينب":

حسنًا .. لا مانع من ذلك، ولكن لا تحاول إغرائى لإقامة علاقة معى، فأنا لا أريد ذلك، وإذا حاولت ستجد منى ردة فعل لن تعجبك أبدًا.

فرد الشاب:

ومن أنا لأجبرك على شيء لا تريدينه، فأنت تفعلين فقط ما تحبين، والآن هل نذهب؟.

فابتسمت وقالت:

نعم، يمكننا الذهاب الآن.

تحرك الشاب وذهب مباشرة إلى منزله، توقف أمام الباب الخارجى للمنزل، لم يكن هذا منزلًا، بل يشبه القصر، كان كبيرًا جدًا يخلو من البشر، لم يكن فيه سوى ذلك الخادم غريب الملامح، دخلا معًا وجلسا، فأسرع الخادم وأحضر لهما زجاجات الخمر وأشعلا السجائر وتناولا جميع أنواع المواد المخدرة المتاحة، ظلا هكذا حتى طلبت "زينب" الذهاب لأنها بدأت تشعر بالتعب، فقال لها:

أنا لا أستطيع القيادة الآن، يمكنك أن تأخذى سيارة أجرة من الخارج، وغدًا سأرسل لكِ سيارة بسائق ليكون معكِ دائمًا.

ابتسمت "زينب" قائلة:

حسنًا.. غدًا لن نتقابل فى الملهى، سآتى إلى منزلك مباشرة، لقد أحببت المكان كثيرًا.

خرجت من المنزل، تكاد لا ترى أمامها شيئًا، أوقفت سيارة أجرة وعادت إلى المنزل.

دخلت المنزل وكانت أمها وأختها مازالتا منتظرتين ظهور "محمود"، كعادتهما الجديدة، لم تلقى التحية عليهما ولم تعطهما أى اهتمام.

دخلت غرفتها، أغلقت الباب على نفسها، خلعت ملابسها وتناولت المزيد من المخدر ونامت مباشرة.

فى الصباح الباكر استيقظت للذهاب إلى عملها، رغم أنها أصبحت تكره العمل، فإنها ما زالت تحتاج إلى المال.

لم تعد والدتها تعطيها شيئًا بالطبع، بعد أن تحولت إلى تلك الشخصية الغريبة، رن هاتفها، إنه رقم غريب لم ترَه من قبل، فردت عليه لترى مَن المتصل:

- نعم، مَن المتصل؟ رد عليها:

مرحبًا يا سيدتى، أنا "زين" السائق، لقد أرسلنى صديقك، أنا فى انتظارك أمام المنزل.

ابتسمت "زينب" قائلة:

حسنًا يا زين، ابقَ عندك، سأرتدى ملابسى وأخرج لك.

أغلقت الخط وهى سعيدة للغاية، وقالت لنفسها:

أصبحت هذه الحياة الجديدة ممتعة بالفعل.

كان هذا يوم "زين" الأول فى العمل، كان سعيدًا جدًا ويملأه النشاط، فهو في حاجة ماسة لذلك العمل، وشاء القدر أن يكون سائقًا لتلك الفتاة التى يبحث عنها "وعد" شقيقه الأصغر.

ارتدت "زينب" ملابسها وخرجت من المنزل، تعرفت على "زين" وشعرت بأنها تعرفه، وسألته إن كان قد رآها من قبل أم لا ؟.

فرد بأن هذه المرة الأولى التى يراها فيها.

لكن شعورها نحوه كان يحيرها، فهى تشعر أنها رأت أحدًا يشبهه من قبل، وتلك الرائحة ليست غريبة عليها.

تجاوزت "زينب" كل هذا وذهبت إلى عملها.

تحول روتين الحياة اليومية لـ "زينب" إلى عمل نهارًا، وسهر مع ذلك الشاب ليلًا، لقد سيطر المخدر على جسدها بالكامل، وتشوهت ملامح روحها.

أصبحت تابعة لذلك الشاب؛ فهى لا تملك المال الكافى لذلك المخدر الذى أصبح شيئًا أساسيًا فى حياتها، وهو يعطيها المخدر من دون مقابل ويوفر لها كل شيء، وحتى هذه اللحظة، لم تفكر "زينب" فى المقابل.

يرى "زين" كل هذا أمامه يوميًا ولا يستطيع فعل شيء، ربما إذا حاول التحدث معها أو نصيحتها يفقد عمله، وهذا الخيار غير مقبول لديه، رغم أنه كان يتعذب من رؤيته لتلك الفتاة وهي تنهار يومًا بعد يوم، فكل ما كان يستطيع فعله أن يبقى معها لحمايتها من أى شيء آخر، ويدعو لها كى تبتعد عن ذلك الطريق الذى تمشى فيه.

وفى يوم من تلك الأيام، بعد أن انتهت "زينب" من جلستها مع الشاب، استعدت للرحيل، طلب منها الشاب أن تبقى.

لم تكن تستطيع رفض أى شيء يطلبه الشاب منها، ربما إذا رفضت لن يعطيها المخدر مجددًا، ولكن وقت عمل "زين" قد انتهى، ويجب أن يذهب.

فقال لها الشاب:

يمكن للسائق أن يرحل، وعندما تذهبين يمكنك طلب سيارة أجرة لتعيدك.

خرجت لـ "زين" وقالت له:

يمكنك الرحيل، أنا لن أذهب الآن، سأبقى قليلًا.

لاحظ "زين" نظرة قلق فى عينيها، فزاد هذا من قلقه أكثر، فهو لن يتركها وحدها فى هذا الوقت، فقال لها:

يمكننى الانتظار حتى تنتهى لأعيدك، فالوقت قد تأخر لتعودى وحدك، لن تجدى حتى سيارة أجرة.

كانت "زينب" تريد أن تجعله ينتظر، لكن الشاب لن يسمح لها بذلك، لقد أمرها أن تجعله يرحل، دخلت وحاولت أن تقول له إن "زين" سينتظرها، لكنه نظر إليها وأشار بالرفض من دون أن يتكلم.

عادت لـ "زين" بالخارج، وقالت:

شكرًا لك يمكنك أن تذهب، فأنا لا أعلم متى سأذهب.

قالت ذلك وفى داخلها تشعر بالخوف، لماذا يجعلها الشاب تبقى أكثر من ذلك؟!.

ماذا لو طلب منها الشيء الذى منعته عنه فى البداية وأراد أن يقيم علاقة معها؟!.

لن تستطيع أن ترفض، فهى الآن مسلوبة الإرادة، وأيضًا لا يمكنها أن تقبل، فهى ما زالت عذراء، لم يمسسها أحد من قبل، ربما تكون قد فقدت مبادئها وأخلاقها وسيطر شر عليها، لكن فى قرارة نفسها، ما زال هناك ذلك الشيء الذى يمنعها من فعل بعض الأخطاء، ما زالت هناك نقطة ضوء بداخلها تحاول الخروج.

ملأ الخوف قلبها، إنه ذلك الشعور الذى فقدته منذ أصبحت لا تبالى بشيء، لكنها لا تستطيع الرفض.

تركت "زين" يرحل، ودخلت إلى الشاب، جلست بعيدًا عنه يملأ الخوف عينيها.

فابتسم الشاب قائلًا:

لماذا أنتِ خائفة؟

لا تقلقى، فأنا لن أفعل هذا بكِ اليوم، أنا أفعل ما أريد، أتذكرين ذلك؟، لن أقيم معكِ علاقة اليوم، ربما فى يوم آخر.

ارتعدت "زينب" من داخلها لسماع تلك الكلمات؛ فهو الآن يعرف ما الذى يخيفها دون أن تنطق بكلمة!.

إنه يعلم جيدًا أنه أصبح يمتلكها، استمعت إلى كلماته ولم تعلق بكلمة، مرت ساعة من الزمن من دون أن يقول الشاب شيئًا، ولم يطلب منها أى شيء أيضًا، حتى قطع الصمت قائلًا:

أنا ذاهب لأنام، يمكنك الانصراف الآن.

فرَّت "زينب" من مكانها بمجرد سماع تلك الكلمات وخرجت من المنزل لتعود إلى بيتها، وبعد ذلك ستفكر فى تلك المشكلة.

وقفت على الطريق لتوقف سيارة أجرة، لكن الوقت متأخر جدًا، ليس هناك من سيارات فى الطريق، ولا يوجد مارة، كان كل شيء ساكنًا تمامًا، فهى مازالت تحت تأثير المخدر ولا تستطيع المشى.

جلست على جانب الطريق .. المكان خال تمامًا من البشر .. هى تحت تأثير مخدر .. ملابسها عارية .. إنها فريسة سهلة المنال لأى أحد يراها.

حاولت أن تنهض وتمشى حتى تجد أحدًا يساعدها، حاولت أن تتصل بـ "زين" لكن بطارية هاتفها كانت فارغة تمامًا، فقد رفض الشاب أن يجعلها تشحن هاتفها عنده، لقد كان يستخدمه لهاتفه، ولم يفصله طوال اليوم.

قطع الصمت صوت سيارة تأتى من الخلف.

نظرت وراءها لترى إن كانت سيارة أجرة، لكنها لم تكن كذلك، توقفت السيارة أمام "زينب" مباشرة، ونزل منها شابان يبدو أنهما تحت تأثير مخدر، ارتعدت وحاولت الهرب منهما، ركض وراءها أحدهما وأمسك بها، حاولت أن تصرخ، فضربها الآخر بقوة على رأسها.

حملاها معًا ووضعاها فى المقعد الخلفى للسيارة، جلس أحدهما بجوارها وتحرك الآخر في السيارة.

لم تكن قادرة على المقاومة، جسدها مخدر تمامًا، تلك الضربة على رأسها لم تفقدها الوعى، لكنها أفقدتها القدرة على الحركة.

بدأ الشاب الذى بجوارها في نزع ملابسها، وبعد ذلك بدأ يمزق ملابسها محاولًا اغتصابها.

وفى تلك اللحظة .. ظهرت سيارة تأتى من خلفهم بسرعة، صدمت سيارتهم بقوة من الخلف، فقدت السيارة اتزانها وخرجت عن

الطريق تلتف حول نفسها حتى توقفت تمامًا، وقفت السيارة الأخرى أمامهم وخرج منها "زين".

بعد أن ترك "زينب" ورحل، أنَّبه ضميره على تركها وحدها فى ذلك الوقت، فعاد من منتصف الطريق وذهب إلى منزل الشاب، وطرق الباب فلم يفتح له أحد، فانطلق فى طريق منزلها ليطمئن عليها، ورأى الشابان يحملانها فى السيارة فانطلق وراءهم مسرعًا.

خرج "زين" من السيارة التى تحطم وجهها تمامًا، ركض نحو السيارة الأخرى وأخرج الشابين وانهال عليهما ضربًا حتى فقدا الوعي، ونزع ملابس أحد الشابين وغطى جسد "زينب" بها، وحملها إلى سيارته، وانطلق مسرعًا مناديًا إياها:

هل أنتِ بخير؟

لم تكن قادرة على الحركة، وقالت له بصوت خافت:

أنا بخير، لا تقلق، لقد وصلت فى اللحظة المناسبة، لا أعرف كيف أشكرك، لقد أنقذت حياتى، أنا مدينة لك بهذا.

قال لها "زين":

لا تقولى هذا، فقد فعلت ما أملاه علىَّ ضميرى فقط، هذا واجبى، فأنت من سن أخى الصغير "وعد"، أعاده الله إلينا سالمًا؛ لذلك أعتبرك أختًا صغرى لى، فأنتِ تشبهينه كثيرًا.

حمدًا لله أنكِ بخير، هل أذهب بكِ إلى مشفى أولًا أم تريدين العودة إلى المنزل؟

ـ لا داعى للمشفى، فأنا بخير لا تقلق، أعدنى فقط إلى المنزل.

انطلق "زين" مسرعًا إلى منزلها، وحين وصل وتوقف أمام المنزل.

كان هناك الكثير من الناس مجتمعين هناك فى ذلك الوقت المتأخر.

لقد كانت عائلة "زينب" مجتمعة، هذا غريب، فآخر مرة رأت فيها هذا التجمع كان يوم وفاة والدها.

خرج "زين" من السياره وفتح الباب لـ "زينب"، وقد كانت تستعيد قدرتها على الحركة، فساعدها للنزول من السيارة، الجميع ينظر إليها باحتقار شديد، لم تكن قادرة على فعل شيء، نظرت فى الأرض، وطلبت من "زين" أن يدخلها إلى المنزل، سندها "زين" حتى وصلا إلى باب المنزل الذى كان مفتوحًا، دخل معها فرأى والدتها جالسة تبكى وتصرخ وأختها الصغرى بجوارها، فلما رأت أختها بهذا المنظر ركضت ناحيتها وأخذت بيدها من "زين" وأدخلتها غرفتها، ووضعتها على السرير، وخرجت وأغلقت الباب وراءها، ثم عادت وجلست تبكى بجوار أمها.

لم يكن "زين" يستطيع أن يرحل من دون أن يعرف ماذا حدث وأن يخبرهم بما حدث لابنتهم.

دخل وطلب الإذن بالجلوس، فسمحت له والدتها بذلك، وسألها عن ما يحدث، فأخبرته بكل شيء ثم أخبرها بما حدث مع "زينب" من البداية، وألقى

عليها التحية وغادر المنزل تملأ الدموع عينيه.

فى الصباح الباكر، استيقظت "زينب" وعينها تكاد تنفجر من شدة الألم، كانت تريد أن تخرج من الغرفة لتغتسل وترتدى ملابسها، لكنها كانت خائفة من الخروج، فهى لا تعلم ماذا يمكن أن تجد في الخارج؟.

فهى لم تعرف بعد لما كانت العائلة مجتمعة أمس.

وجدت بجوارها زجاجة من الماء، فغسلت وجهها وسكبت باقى الزجاجة

على رأسها، ثم ارتدت ملابسها ووضعت هاتفها على الشاحن وانتظرت قليلًا حتى يعمل، ثم اتصلت بزين مباشرة.

سألت "زين" إن كان يعرف شيئًا بعد أن تركها أمس؟

فرد "زين":

نعم، لقد سألت والدتك فأخبرتنى بكل شيء، وأخبرتها أنا أيضًا بما حدث معكِ، فقالت له:

ماذا عرفت؟

فرد: هذا الكلام لا يقال فى الهاتف، يجب أن أراكِ الآن، سأركب سيارة أجرة وأقابلك فى المقهى المقابل لمنزلك.

فقالت "زينب":

لكنى لا أستطيع الخروج، ماذا سأقول لهم؟، أنا لا أستطيع حتى أن تلتقي عينى بعين أمى.

فقال "زين":

لا تقلقى، لا يوجد أحد عندك، أنت وحدك فى المنزل، لقد عادت والدتك

وأختك أمس مع باقى العائلة إلى مدينتكم.

تعجبت "زينب" من هذا، وقالت له:

حسنًا.. سأخرج الآن وأنتظرك في المقهى.

خرجت من المنزل وذهبت إلى ذلك المقهى المقابل للمنزل، وطلبت كوبًا كبيرًا من القهوة، فالألم والصداع لا يفارقان رأسها، لقد فقدت حقيبتها عندما أخذها الشابان، ولم يعد معها المزيد من المخدر، وقد حان موعد جرعتها.

خرج "زين" وأوقف سيارة أجرة وذهب إلى "زينب".

وجدها جالسة تنتظره، ألقى عليها التحية، وجلس أمامها وقال:

كيف حالكِ الآن؟ هل أفضل من أمس؟.

فردت عليه:

نعم، أنا بخير، أخبرنى ما الذى يحدث؟، أنا لا أفهم أى شيء.

أخذ "زين" نفسًا عميقًا وأخرجه ببطء، ثم اعتدل فى جلسته ونظر إليها قائلًا:

ما سأقوله الآن ليس بالأمر الهين، عليكِ أن تكونى متماسكة تمامًا.

فقالت: أخبرنى مباشرة يا "زين" من دون تلك المقدمات.

فقال:

كما تشاءين، فى اليوم الذى خرج فيه "محمود" من المنزل ذاهبًا وراءكِ ليعرف أين ستذهبين، حصل حادث بعد أن أخبرتِ حراس الملهى الليلى أنك لا تعرفينه، لقد أخذه الحراس بعد رحيلك ورموه خارجًا، ثم

انهالوا عليه ضربًا حتى فقد الوعي، وتركوه وسط الطريق وعادوا، فوجده رجل كبير كان مارًا من هذا الطريق، فأخذه الى المشفى، وكان جسده مغرقًا بالدماء، وعندما عاد إليه وعيه وجد نفسه في المشفى وهذا الرجل بجواره، فطلب منه الاتصال بأحد أصدقائه، وصديقه هذا هو من أتى بالأمس إلى والدتك وأخبرها بكل شيء.

عندما وصل صديقه إلى المشفى روى له "محمود" كل شيء، وطلب منه أن يبقى الأمر سرًا بينهما حتى يعود هو إلى المنزل، لكن الأطباء أخبروا صديقه بأن حالته حرجة جدًا، لقد أصيب بضربات قوية فى رأسه وصدره؛ مما أدى إلى شرخ كبير فى رأسه، واضطراب فى ضربات القلب، وتهتك فى معظم أعضائه الحيوية، ظل صديقه معه كل هذه الفترة الماضية، حتى ذهب إليه أمس فلم يجده فى غرفته، وعندما سأل الأطباء عنه، أجابوه بأن جسده لم يتحمل، وحدث له نزيف داخلى؛ أدى إلى انهيار فى كل أعضائه.

لقد انتقل "محمود" إلى رحمة الله.

إنها الصدمة الأقوى على الإطلاق التى يمكن أن تتلقاها "زينب".

أنا التى قتلت "محمود" وليس الحراس.

أنا التى دمرت حياتى وأسرتى وقتلت أخى الصغير.

لا أستطيع أن أُلقى باللوم على مرضى النفسى، لقد تخطيت كونى مجرد مريضة نفسية رفضت العلاج، لقد أصبحت شيطانًا يمشى على الأرض.

قاطع "زين" تفكيرها قائلًا:

لا تحاولى الذهاب إلى والدتك الآن، لم يعد أحد منهم يريد رؤيتك بعد الآن، أنتِ لا تستحقين المساعدة، فأنتِ أسوأ مما تخيلت، لكني ما زلت أرى الخير فيكِ ولا أعلم كيف، ما ضاع لا يمكن أن يعود، وما حدث لن يتغير، لكنك تستطعين أن تتغيرى، ستكون هذه المرة الأخيرة التى أراكِ فيها؛ لأن السيارة التى تحطمت لا أقدر على دفع ثمن إصلاحها وقد أبلغ صاحبها عنى، سوف أسجن من أجل ذلك، أتمنى أن يجعلك كل هذا تفهمين خطأك وأن تصلحى من نفسك، أعانكِ الله عليها.

رحل "زين" دون أن يسمع كلمة منها، أما هى فقد تجمدت مكانها، لا تستطيع التفكير، تذكرت كلمات والدها قبل أن يموت، لقد خذلته، ولم تستطع الحفاظ على الأسرة، بل كانت هى من دمرت تلك الأسرة السعيدة، حتى أسرة "زين" الذى أنقذها سيسجن بسببها، إنها وحيدة تمامًا الآن.. بلا حب .. بلا أسرة .. بلا أصدقاء .. يأكل المخدر جسدها .. لقد فقدت آدميتها، إن الموت أهون ألف مرة من ذلك الإحساس، لم تقدر "زينب" فى هذه اللحظة على التفكير في شيء سوى شيء واحد، إنها يجب أن تبتعد عن تناول المواد المخدرة وتذهب إلى مصحة للعلاج النفسى.

ذهبت فى تلك الليلة إلى الطبيبة، روت كل ما حدث، وسألتها إن كان هناك أمل فى علاجها النفسى، لكن رد الطبيبة لم يكن متوقعًا: أنت لم تعودى مصابة بذلك المرض، لقد رحل عنك فى اللحظة التى بدأتِ تشعرين فيها بالخوف والألم، لكنك مصابة الآن بما هو أصعب من

مجرد مرض نفسى، فشعورك بالذنب مع إدمانك المخدرات دمركِ تمامًا، لكن بما أنك أتيت وتأملين فى العلاج يجب علينا أولًا أن ندخلك مصحة لعلاج الإدمان، وسوف أزورك هناك حتى تعودى للحياة مرة أخرى، سوف أحدد لكِ موعدًا للذهاب إلى المصحة، وسأُبلغك به.

عادت "زينب" إلى المنزل محطمة، أغلقت هاتفها، وأغلقت غرفتها على نفسها، وقررت أن تبقى هكذا حتى تموت.

مرت بضعة أيام عليها وهى جالسة وحدها، لا يعرف بشأنها أحد، تنتظر الموت .. لا تأكل .. لا تشرب.. أعراض انسحاب المخدر من جسدها تقتلها، ولكن

هذا الألم أقوى من أن يتحمله جسدها، لم تستطع تمالك نفسها وهى ترتدى

ملابسها، خرجت من المنزل وأوقفت سيارة وذهبت إلى منزل ذلك الشاب ليعطيها المخدر.

طرقت الباب، فتح لها الخادم، وأشار إليها بالدخول قائلًا:

ينتظرك سيدى بالطابق الأعلى.

صعدت الدرج، وكانت هذه هى المرة الأولى التى تصعد فيها إلى هذا الطابق، كان هناك الكثير من الغرف أبوابها مغلقة، وغرفة واحدة بابها مفتوح، دخلت إلى تلك الغرفة فوجدت الشاب جالسًا على السرير ينظر إليها ساخرًا، وقال:

لقد كنت أنتظر حضورك، وأتيتِ فى الموعد تمامًا، أغلقى الباب واقتربى.

أغلقت "زينب" الباب واقتربت منه وجسدها يرتجف، وقالت:

أعطنى المخدر الآن.

استلقى الشاب على السرير وهو يضحك مقهقهًا قائلًا:

لا تقلقى، سوف أعطيكِ إياه، لكن ليس بهذه السهولة، عليكِ أولًا دفع المقابل لهذا.

فقالت زينب:

وماذا تريد مقابل هذا؟ أنا ليس لديَّ مال.

استمر الشاب فى الضحك، وقال:

أنا لا أحتاج المال، فعندى منه الكثير، أنا لى هدف آخر.

قالت: وما هو هدفك؟!

ذهبت تلك الابتسامة من وجهه، وأخذت ملامح الجدية مكانها قائلًا:

هدفى لن يعلمه أحد الآن، فهو أبعد من إدراك شخص مثلك.

والآن، يمكنك أن تخلعى ملابسك، وتستلقى بجوارى، أسرعى فى هذا، ليس لديّ الكثير من الوقت.

انهمرت الدموع من عيني "زينب" وهى لا تستطيع رفض طلبه، انسحاب المخدر من جسدها يقتلها ألمًا، ويدمر عقلها، إنها مسلوبة الإرادة.

بدأت في خلع ملابسها ببطء شديد ويدها وجسدها يرتجف بشدة، وهو ينظر إليها سعيدًا بهذا، حتى انتهت من خلع ملابسها بالكامل، هذه المرة ليس رغمًا عنها.

أشار إليها لتأتى بجواره، فاقتربت ببطء وجلست بجواره، محاولة أن تستر نفسها بيدها، فنظر إليها مبتسمًا، وأخرج لها بعضًا من المخدر، وأعطاه إياها قائلًا:

ها هو ثمنك أيتها الفتاة المطيعة.

أخذت منه المخدر واستنشقته بسرعة ليهدىء ألمها، هدأت أعصابها ورحل الألم فجأة، استرخى جسدها وأغمضت عينيها واستسلمت تمامًا.

اقترب الشاب من "زينب" وهمَّ بها، وفى تلك اللحظة انكسر باب الغرفة بقوة كبيرة ودخلت عليهما قوات الشرطة.

نهض الشاب ببرود تام، أما "زينب" فانتفضت وجحظت عيناها، وانهارت فى البكاء محاولة ستر جسدها.

قبضت قوات الشرطة على جميع مَن فى المنزل، وأخذوهم إلى قسم الشرطة، وأثناء

التحقيق معهم قالت الشرطة إن هناك اتصالًا من شخص مجهول أبلغهم بتلك القضية.

فرد الخادم وهو لا تبدو عليه علامات الخوف:

أنا الذى أبلغت.

وأخرج هاتفه وأعطاه للضابط ليتأكد من صحة كلامه، فقام الضابط بإخراج الجميع وبدأ التحقيق مع الخادم وحده.

أفرج عن الخادم بعد أن تأكد أنه هو الذى أبلغ عنهم، وطلب الضابط إدخال "زينب" والشاب، وبدأ فى التحقيق معهما.

كانت "زينب" منهارة تمامًا، فى حين لم يبدُ على الشاب الاهتمام بكل ما يحدث.

وأثناء التحقيق قال الشاب:

- أنا أحمل جنسية بلد أجنبى، وأطلب تدخل السفارة فى هذا التحقيق.

أوقف الضابط التحقيق، وأرسل قوة مع الشاب إلى منزله ليحضر أوراق إثبات الشخصية.

فأحضر الأوراق، وتأكدوا من صحة جواز سفر الشاب، وأنه بالفعل يحمل جنسية دولة أجنبية عظمى.

وفى تلك الأثناء، لاحظ الضابط أن "زينب" تبدو عليها علامات الإدمان، فطلب توقيع الكشف الطبى عليها، وطلب من الشاب أن يبقى معهم حتى صدور التقرير الطبى، لكن الشاب رفض ذلك، وهدد مرة أخرى بإبلاغ السفارة، فقرر الضابط إخلاء سبيله وتعيين قوة حراسة على منزله لحين صدور التقرير وإنهاء القضية.

ثم احتجزت "زينب" فى القسم بعد أن قاموا بالكشف عليها حتى صدور التقرير، وبعد بضعة أيام أتى تقرير الطبيب يفيد بأن المذكورة عذراء ومدمنة لمخدر الهروين.

انتهت القضية بسرعة وأنهوا الحراسة التي كانت على منزل الشاب، وطلب الضابط تحويل "زينب" إلى مصحة لعلاج الإدمان.

***

نورجهان:

فتح "وعد" عينيه، فوجد نفسه مازال في غرفته أعلى سطح المنزل القديم، وكلبه نائم بجواره يبدو عليه التعب، كل شيء فى مكانه لم يتغير سوى طعام الكلب المجفف المنتشر في أرضية الغرفة، ورسالته التى كتبها موضوعة في داخل الزجاجة كما هى، ملقاة على الأرض، وحتى ملابسه كما هى عليه لم تتغير.

فسأل نفسه:

هل كان كل هذا مجرد حلم؟!

أم كان هذا واقعًا فعلًا؟!

مهما كانت الإجابة، فأنا أتذكر ما حدث جيدًا، وأدرك كل ما علمنى إياه العجوز، ما يهمنى أننى أصبحت شخصًا مختلفًا تمامًا الآن، وأعرف جيدًا ما عليَّ فعله.

نهض "وعد" من سريره ونظر إلى هاتفه، لقد كان مغلقًا، فوضعه على الكهرباء حتى أعاد تشغيله، وفاجأه بأن تاريخ اليوم بعيد تمامًا عن اليوم الذى كتب فيه الرسالة.

هل ذهب فعلًا إلى تلك الجزيرة؟ أم أنه كان نائمًا كل هذه الفترة؟.

كان جسده يؤلمه بشدة، يتحرك بصعوبة، وهذا دليل على أنه لم يتحرك فترة طويلة، كان يشعر بجوع شديد، تشققت شفتاه عطشًا، أصابه الجفاف، قاوم كل هذه المشاعر ونهض من مرقده، وفتح الثلاجة التى كانت مليئة بالطعام.

حضَّر بعضًا من هذا الطعام، وجلس ليتناوله، وتناول الكثير من الماء، حتى أشبع جوعه، وروى عطشه، نهض واغتسل، ثم ارتدى ملابسه وهمَّ بالخروج من الغرفة، كانت هناك حقيبة سفر كبيرة تسد الباب من الداخل، لم يكن "وعد" قد رأى تلك الحقيبة من قبل، ولا يمكن أن يكون قد تركها أى أحد، وإلا فكيف كان سيخرج؟! إنها ثقيلة جدًا وتسد الباب من الداخل، ولا يوجد مخرج آخر للغرفة.

فتح الحقيبه ليعرف ما بداخلها، ربما يفهم شيئًا.

فوجد ما لم يكن يتوقعه.

إنها ممتلئة بالمال!!!.

تجمد "وعد" مكانه، لا يكاد يصدق ما يراه، علامات الدهشة والتعجب تملأ وجهه.

من أين وكيف أتى هذا المال الغزير؟!.

وجد فى داخل الحقيبة أيضًا ورقة صغيرة مكتوب عليها:

(أنت الآن تستحق هذا، استخدمه جيدًا فى ما قدره الخالق لك).

وفى أسفل تلك الجملة توقيع من كاتبها، وكان شخصًا لا يتوقع "وعد" أنه موجود أصلًا، لقد وقَّع على الورقة باسم (نورجهان).

كاد "وعد" يفقد عقله من تلك المفاجأة، فهو يعلم أن نورجهان حجر، وليس شخصًا حيًا، ويفترض أن يكون كل هذا حلمًا، ربما ليس حلمًا، وربما ليس واقعًا أيضًا، فبين الواقع والخيال نقطة لا يعلمها إلا الله.

يفعل الله كل هذا معى لحكمة يعلمها جيدًا، فالعجوز ونورجهان مجرد سبب هيّأه الله لى لتحقيق أمر معين، ليس لى وحدى، بل إن ذلك يحدث لسبب أكبر بكثير من مشكلاتى الشخصية، ويجب أن أكون على مقدار الثقه التى وضعها الخالق فيّ.

غمرت السعادة "وعد"، وأخذ جزءًا من المال وخرج من الغرفة وأغلق الباب خلفه، تاركًا الحقيبة مع الكلب يحرسها.

وعد، وعد، أين كنت؟!

جاء هذا الصوت من خلفه وهو يمشى في الطريق، التفت ليرى مَن المنادى.

إنه أحد أصدقاء "زين"، لم يجب "وعد" على سؤاله، بل رد بسؤال آخر:

أين أجد "زين" الآن؟

نظر الشاب فى الأرض حزينًا، وقال:

إن "زين" فى السجن الآن، لقد أخذ سيارة من مكتب صديقنا ليعمل عند فتاة شابة، لكن تلك الفتاة تعرضت للاختطاف فأنقذها "زين"، لكن السيارة تحطمت ولم يستطع تحمل تكاليف إصلاحها، وحاولنا أن نجمع المال من بعضنا، لكن هذا لم يكن كافيًا لسد التكاليف، فأبلغ عنه صديقنا وقبضت الشرطة عليه، وهو الآن فى

السجن، وقد حاول البحث عنك إلا أنه لم يجدك، حتى عندما صعدنا إلى غرفتك وجدنا القفل مفتوحًا، لكن الباب لم يفتح، كان هناك شيء يسده من الداخل.

امتلأت عين "وعد" بالدموع وأوقف سيارة أجرة وذهب إلى مكتب صديق أخيه مباشرة، لقد كان صديق "زين" المقرب، وفى هذا الزمن أصبح من الصعب أن تجد صديقًا مخلصًا.

دخل "وعد" المكتب وفي وجهه نظرة حادة، فقابله صديق "زين" بدهشة قائلًا:

وعد، أين كنت؟ لقد بحثنا عنك فى كل مكان ولم نجدك.

فأجابه "وعد" بحدة:

هذا ليس من شأنك، بكم يدين لك زين؟.

فقال الشاب محمرًا وجهه خجلًا: وعد، لم يكن بيدى شيء لأفعله، لقد حطم "زين" السيارة، وأنا لا أستطيع تحمل تلك الخسارة، فالسيارة تحتاج إلى أكثر من نصف ثمنها لتعود كما كانت.

فقال "وعد" بسخرية:

وكيف استطعت تحمل الخسارة الآن وزين مسجون ولن تأخذ منه شيئًا؟!

ألم تفكر فى أسرته وكيف سيكون حالهم الآن؟!، أنت بالفعل صديق مخلص.

أخرج "وعد" المال ورماه أمام ذلك الشاب، وقال:

هذا المال أكثر مما تحتاج، لعله يعلمك الوفاء يومًا ما فى الصباح أريد أخى فى بيته.

ثم تركه وذهب مباشرة من دون أن يستمع لأى رد.

ذهب "وعد" إلى إحدى المناطق الراقية، ودخل إحدى الشركات المختصة ببيع العقارات، جلس مع أحد الموظفين فى الشركة والذى لم يكن يعمل بمرتب ثابت، فقد كان يأخذ فقط عمولة من البيع، وهذا الشاب لم يكن قد باع شيئًا منذ شهور وحاله صعبة وأصابه الاكتئاب.

كان هناك أمر ما داخل "وعد" يوجهه فى كل أفعاله، لقد جعله الله سببًا لتفريج الكربات عن المحتاجين.

طلب منه "وعد" شراء بيت من طابقين منفصلين، مجهز ومفروش، وأن يكون جاهزًا فى مدة أقصاها الصباح الباكر، كادت الفرحة تقفز من عين الموظف، وعرض على "وعد" الأماكن المتاحة، فاختار بيتًا يطل على النيل مباشرة، كان ثمنه مرتفعًا، لكنه دفع كل المال المطلوب.

أنهى الموظف كل الأوراق سريعًا واصطحب "وعد" ليرى البيت، وسلمه المفتاح، وقال له إن كل المفروشات ستكون جاهزة وفى مكانها فى الصباح، كانت عمولة الموظف مرتفعة جدًا وستحل كل مشاكله وتغير حياته للأفضل.

بعد الانتهاء من كل شيء نظر إلى الموظف مبتسمًا قائلًا:

- أنت تستحق هذا، إنه وعد الله للصابرين.

عاد وعد" إلى غرفته فوق سطح المنزل القديم وقدم الطعام لكلبه، ثم جلس يتأمل السماء وينظر للقمر الذى يرى فيه وجه "زينب"، وسأله أين يمكن أن يجدها؟، لكن القمر لم يرد عليه كما اعتاد أن يفعل.

فقال وعد: نعم أعلم أنك لن تجيبنى، فهذه أصبحت مهمتى الآن.

ثم استلقى على سريره مستغرقًا فى النوم.

رأى "وعد" فى نومه امرأة فى غاية الجمال يشع وجهها نورًا وكأنه نور الدنيا، ترتدى ثياب الملوك، واقفة أمامه مبتسمة، وقالت:

أنا نورجهان، أصبحت الآن تعرف مهمتك جيدًا، مفتاح الوصول لـ "زينب" ستجده مع "زين".

استيقظ "وعد" فى الفجر على صوت الأذان يقول "الله أكبر"، وكأنه إشارة بأن ما أتاه فى منامه ليس مجرد حلم.

نهض من على سريره وتوضأ وصلّى الفجر، ثم جلس يتأمل السماء حتى أشرقت الشمس وكلمات نورجهان لا تزال تتكرر فى رأسه حتى رن هاتفه، كان موظف الشركة يبلغه بأن كل شيء أصبح جاهزًا كما طلب، وقف "وعد" قائلًا: حمدًا لله على هذه النعم.

ثم ارتدى ملابسه مصطحبًا كلبه وذهب إلى منزل عائلة زوجة أخيه "زين"، فاصطحبها هى وأولادها وذهبوا إلى بيتهم الجديد، ثم عاد إلى مكتب صديق "زين"، وكانوا قد أنهوا كل شيء وأخبر "وعد" أن "زين" قد خرج من السجن وهو الآن فى قسم الشرطة، ينهون أوراق إطلاق سراحه، وسيخرج بين لحظة وأخرى.

اتجه "وعد" إلى قسم الشرطة وسأل عن "زين"، فأخبروه أن جميع أوراقه قد انتهت، وسيخرج الآن.

خرج "زين" من غرفة الضابط ليذهب، فوجد "وعد" أمامه ينتظر خروجه، لم يشعر بشيء إلا وهو يحتضنه بشوق وفرحة، لم يكن قادرًا على الكلام من شدة فرحته، فاصطحبه "وعد" وذهبا إلى المنزل الجديد.

كان "زين" مذهولًا من كل ما حدث، وسأل "وعد" متعجبًا.

كيف أخرجتنى وأين كنت كل هذه الفترة ومن أين حصلت على كل هذا؟.

فأجابه "وعد":

هذا فضل الله يا "زين"، ستعرف كل شيء فى وقته المناسب، والآن أنت بحاجة إلى الراحة، اذهب ونم قليلًا، وعندما تستيقظ أريد أن أعرف منك كل شيء عن تلك الفتاة التى كنت تعمل لديها، أنا أقيم فى الشقة التى في الطابق الأعلى سأنتظرك هناك.

قام "وعد" لينام وصعد إلى شقته، وأخذ يصلى ويتأمل حتى صعد إليه "زين"، ثم بدأ يروى له "زين" كل ما حدث منذ أن اختفى حتى أخرجه من السجن.

دمعت عينا "وعد" على حال "زينب"، وطلب من "زين" أن يأخذه إلى مكان إقامتها، فتحرك الاثنان إلى منزل "زينب" الذى كان مظلمًا تمامًا وليس فيه أحد.

سأل "وعد" كل من يحيطون بالمنزل، فربما يعرف أحدهم شيئًا، ولكن لم يستطيع أحد مساعدته، فنظر إلى "زين" قائلًا:

لا حل الآن، سوف نذهب إلى بيت ذلك الشاب الذى كانت تذهب إليه، فربما يعرف أين يمكن أن نجدها.

ذهبا لاستئجار سيارة، ثم اتجها مباشرة نحو منزل ذلك الشاب، وتوقف "زين" بالسيارة أمام المنزل، وخرج كل منهما واتجها نحو الباب، طرق "وعد" الباب، وطلب من "زين" أن ينتظر في الخارج.

فتح الخادم الباب، فسأله "وعد" عن الشاب، فأجابه الخادم:

إنه في الداخل فى انتظارك يا سيد "وعد".

تجمدت أطراف "وعد"، من أين لهذا الخادم أن يعرف اسمه؟، وكيف يكون هذا الشاب في انتظاره وهو لم يعرفه من قبل؟!.

تمالك "وعد" أعصابه، وارتسم الهدوء على ملامحه، ودخل.

كان الشاب جالسًا يقف بجواره اثنان من الحرس ذوي الجثة الضخمة، ينظر إلى "وعد" مبتسمًا، وقال:

أخيرًا حضر من بدأ كل شيء، مرحبًا بك يا "وعد" فى منزلى المتواضع.

انقبض قلب "وعد" عندما رأى وجه هذا الشاب ولم يكن يعرف لماذا، لكنه تجاهل كل هذا، وقال:

لن أسالك من أين تعرفنى ولماذا تنتظرنى؟، ولكنى أريد فقط أن أعرف أين "زينب"، وبعد ذلك سأعود إليك لنتحدث سويًا، يبدو أن هناك حديثًا طويلًا سيدور بيننا.

ضحك الشاب، وقال:

أنا كلى ثقة في أنك ستعود، ولكن ليس بإرادتك، وسيكون الحديث أقصر مما تتوقع، أما بالنسبة لمكان "زينب" فعليك أن تعرفه وحدك، فأنا لن أجيب عن هذا السؤال.

رمقه "وعد" بنظرة حادة، والتف ذاهبًا من دون أن ينطق بكلمة.

خرج "وعد" من المنزل وركب السيارة بجوار "زين" فسأله "زين":

هل أخبرك بأى شيء عن مكانها؟.

فقال "وعد":

لا، لم يفعل، ولكن سأعرف بإذن الله، ثم أغمض "وعد" عينيه وتأمل قليلًا، مناديًا "نورجهان".

بقى هكذا، حتى أتاه صوت "نورجهان"، وأخبره أن يشعر بـ "زينب" فى قلبه، وقلبه سيرشده.

ظل "وعد" يتأمل قليلًا، ثم فتح عينيه مبتسمًا قائلًا لـ "زين":

تحرك إلى قسم الشرطة التابع لهذه المنطقة.

كان "زين" متعجبًا مذهولًا من الحال التي صار عليها "وعد"، لكنه كان سعيدًا به أيضًا؛ لذلك لم يقل شيئًا، واتجه مباشرة نحو قسم الشرطة المطلوب.

دخل "وعد" إلى قسم الشرطة، وظل يسأل حتى وصل إلى مكتب الضابط الذى أرسل "زينب" إلى المصحة للعلاج.

استأذن "وعد" في الدخول، فأذن له الضابط، لقد أصبح وجه "وعد" يشع منه نور يجعل كل من يراه يحبه.

طلب الضابط من "وعد" الجلوس، وسأله كيف يستطيع مساعدته؟.

فأجابه "وعد" بأدب:

أنا أبحث عن فتاة اسمها "زينب" جاءت هنا منذ فترة مع شاب أجنبى الجنسية.

تعجب الضابط قائلًا:

وكيف يسأل شخص مثلك عن فتاة متشردة كهذه؟!.

فقال له "وعد": هى ليست متشردة، إنها مصابة بمرض نفسى، هو ما سبب كل ما حدث لها، وأنا فقط أريد أن أساعدها.

فقال له الضابط مبتسمًا:

ليت هناك أناس كثيرون مثلك، وإلا لأصبحنا الأفضل بين الجميع، لقد أحببتك كثيرًا، وأتوسّم فيك خيرًا؛ لذلك سأساعدك.

بعد أن وقعنا الكشف على تلك الفتاة، اكتشفنا أنها ما زالت عذراء، وهذا ما أنهى القضية، وبالطبع جنسية الشاب الذى كان معها، لكننا اكتشفنا أيضًا أنها تدمن مخدر الهيروين؛ لذلك أمرت بإرسالها إلى مصحة لعلاج الإدمان، ولكن كما تعلم فإن المصحات المجانية من هذا النوع لا تقم بعلاج الحالات، بل يمكن أن تزيدها سوءًا؛ لذلك

سأرسل معك أحدًا لإخراجها من هناك، غير أنها ستكون تحت مسئوليتك الكاملة، ويجب أن توقع على هذا.

غمرت السعادة ملامح "وعد" وقال له:

لا أعرف كيف أشكرك، فأنت فعلًا شخص محترم وذو أخلاق عالية، وبالطبع سأفعل كل ما بوسعى حتى أعيدها إلى المجتمع شابة صالحة.

نهض "وعد"، وخرج من المكتب مع الضابط الذى أرسل ضابطًا آخر معه، وذهبا إلى المصحة لإخراج "زينب".

هذه هى اللحظة الأولى التى سيلتقي فيها "وعد" مع "زينب" وجهًا لوجه فى عالم الواقع، لا يعرف "وعد" إن كان مستعدًا لتلك اللحظة، ولم يُحضّر شيئًا ليقوله لها، ولم يتمنَ أن يكون أول لقاء فى موقف كهذا.

وصل الضابط مع "وعد" وزين والممرضة إلى غرفة "زينب" المحتجزة بها، وقفوا على الباب، وطلب الضابط من "وعد" أن يقابلها ويبقى معها حتى ينهى إجراءات خروجها.

اصطحب الضابط الممرضة وذهبا، وطلب "وعد" من "زين" أن يدخل معه، لكن "زين" رفض، وقال له:

لا يا أخى، تبدو هذه اللحظه لك وحدك، سأنتظرك هنا في الخارج.

ارتعدت مشاعر "وعد"، وتجمع بقلبه كل الحزن والأسى الذى مر به من أجل هذه اللحظة بالذات.

مد "وعد" يده ببطء شديد ليفتح الباب، وكانت يداه ترتجفان، وتتزايد ضربات قلبه بقوة، ويندفع الدم فى عروقه، وفتح الباب ودخل ثم أغلقه خلفه.

كانت "زينب" مستلقية على السرير مربوطة يداها وقدماها، تكاد لا تستطيع الحركة، نظرت بحزن إلى ذلك الذى دخل عليها، لترى نورًا أغلق عينيها من شدته، وكأن أحد الملائكة أتى لزيارتها اليوم.

ففتحت عينيها من جديد لترى هذا الوجه المضيء الذى بعث السكينة فى روحها، وهدأت كل أوجاعها، وانتفض قلبها يرقص فى مكانه، لم تكن تعلم سبب كل تلك المشاعر الجميلة التى فاضت عليها فجأة ومن دون مقابل، وعندما اقترب منها ظهرت تلك الرائحة التى اشتمتها من قبل، كانت تستطيع أن تميز هذه الرائحة جيدًا، إنه ذلك الشاب الذى شاركها لحظه الانتحار، إنه الشخص الذى كان معها فى الكوخ الصغير عند العجوز الصياد.

دخلت الممرضة والضابط وفكا وثاقها فلم تشعر بنفسها إلا وهى تنتفض من مكانها، وترتمى فى أحضانه ثم تفقد الوعى.

لم يكن "وعد" يتوقع أن تفعل ذلك، لكن قلبه كان يرقص فرحًا.

ابتسم الجميع، وقال الضابط لـ "وعد":

يمكنك أن تذهب بها الآن، لقد أنهيت لك كل الأوراق المطلوبة، صحبتك السلامة أيها الشاب الصالح.

حملها "وعد" بين يديه، قلبها بجوار قلبه، وكأن نبضيهما يحتضن بعضهما الآخر، ثم شكر الجميع واصطحب "زين" ورحلوا.

استيقظت "زينب" لتجد نفسها على سرير مريح، وتشتم رائحة جميلة، ونور هاديء جميل يداعب وجهها، وهذا الوجه الجميل ينظر إليها مبتسمًا.

فقالت بصوت هاديء:

هل هذه هي الجنة؟

فقال لها "وعد":

لا، إن الجنة أجمل بكثير، أنتِ فقط تستعيدين نور حياتك، إنها تضيء من جديد.

ساعدها "وعد" على النهوض قائلًا:

أخبريني كيف حالك الآن؟ هل أنتِ بخير؟

فردت:

أصبح بخير عندما أرى هذا الوجه، عندما أراك تذهب كل آلامي بعيدًا

هل أنت بشر مثلنا ؟!.

نعم، أنا بشر ولست مميزًا بشيء، كل ما أعرفه أنني رأيتك في أحلامي فاهتز قلبي، ووخزه حبك، ومنذ تلك اللحظة وأنا أبحث عنك.

ابتسمت "زينب" ، ورمقته بنظرة حب عميقة، ومدت يدها وأمسكت يده بقوة، وقالت:

أنا لا أعلم من أنت، لقد رأيتك فى أحلامى أيضًا، لكن كل ما أعرفه أنك تعيد إلى روحى الحياة عندما أراك، يبدو أن هذا هو الحب، نعم أنا لا أعرف حتى اسمك ولكنى أحبك.

لم يعرف "وعد" بما يرد عليها، لم تكن هناك كلمات يمكن أن تعبر عن ذلك الحب في داخله، لم يعرف ماذا يفعل سوى ضمها إلى صدره بقوة وحب، لتكمل روحاهما كل منها الأخرى.

تذكرت فى تلك اللحظة كلمات العجوز عندما قال لها:

عندما تظلم الدنيا وتشتد عليكِ لا تنسى الوعد.

ابتسمت "زينب" فى نفسها، وبدأت تروى له حكايتها من البداية، وعندما انتهت بدأ هو في سرد حكايته لها كاملة، حتى أصبح يعلم كل منهما عن الآخر جيدًا، وفى تلك اللحظة دخل "زين" الذى لم تصدق أنه الأخ الأكبر لـ "وعد"، ألقى عليها التحية، واطمأن على حالها، وجلس معهما، وظلوا يتحدثون حتى غلبهم النوم، فنام كل منهم مكانه، وسكن كل شيء.

❊❊❊

مواجهة الاختيار:

فى صباح اليوم التالى، استيقظ "وعد" من نومه، فتح عينيه ليرى الوجه الذى تمنى أن يكون هو أول ما يرى كل يوم، وهو وجه "زينب" ، التفت "وعد" ليراها، لكنها ليست هنا.. ولا "زين" أيضًا.. ربما يكون "زين" ذهب لينام مع زوجته وأولاده .. أين ذهبت "زينب"؟!.

انتفض "وعد" من مكانه ليبحث عنها، لكنها لم تكن فى البيت، فعاد إلى الغرفة ليحضر هاتفه ويتصل بها، فوجد بجوار هاتفه ورقة صغيرة مكتوب عليها.

"قلت لك أنك ستأتى مرة أخرى، ولكن ليس بإرادتك، أنا فى انتظارك إذا كنت تريد رؤية حبيبتك وأخيك مرة أخرى".

استشاط "وعد" غضبًا، فهو لن يتحمل أن يفقد أحدًا منهما مرة أخرى. ركض خارجًا من المنزل، وركب السيارة وانطلق مسرعًا، لكن كلبه لحق به وتوقف أمام السيارة، توقف "وعد" ولم يكن يملك الوقت ليعيده إلى المنزل.

فتح له الباب، فقفز الكلب وجلس بجواره، وعاد "وعد" ينطلق فى طريقه مسرعًا، لا يشغل باله سوى كيف يعيد أخاه وحبيبته دون أن يمسهما أذى.

وصل "وعد" إلى منزل الشاب، أوقف السيارة، ونزل منها هو وكلبه، وكان ذلك الشاب يقف في شرفة الطابق العلوى من المنزل الذى يطل على المدخل المؤدى إلى الباب مباشرة، ينتظر وصول "وعد".

كان هناك ستة من الحراس ذوي البنية الضخمة، يقفون أمام المنزل مباشرة.

توقف "وعد" ونظر إلى الشاب المبتسم الذى فتح ذراعيه، وقال بصوت عالٍ:

قلت لك إنك ستأتى، ليس بإرادتك بل بإرادتى أنا، وهذا كان وعدى لك، وأنا

لا أخلف وعدى أبدًا، وأشار للحراس بإحضاره.

تقدم خمسة منهم بسرعة نحو "وعد"، بينما وقف الأخير عند باب المنزل ولم يتحرك من مكانه.

ابتسم "وعد" وتقدم نحوه بخطوات هادئة وواثقة، إنه مازال يتذكر فنون القتال التى درَّبه عليها العجوز.

وبينما كان يتقدم بهدوء، اندفع من خلفه الكلب راكضًا نحوهم بسرعة، حتى وصل إليهم، فقفز وأسقط أحدهم أرضًا، وعضه من رقبته، وعاد ليركض نحوهم وأسقط الآخر، بينما تكفل "وعد" بالثلاثة الباقين وأسقطهم أرضًا، مهشمة عظامهم فى بضع ثوانٍ.

عاد ليتقدم نحو الأخير الذى يقف أمام الباب بالخطوات الهادئة نفسها، ونفض الغبار عن ملابسه، لم يستطع ذلك الحارس الانتظار واشتد غضبه، وتقدم نحو "وعد" مسرعًا، فأمر "وعد" كلبه أن يبقى مكانه، وركض بسرعة نحو الحارس الأخير، وقفز قفزة عالية، وبضربة قوية على رأس الحارس أسقطه أرضًا، لكن يبدو أن ذلك الحارس كان أقوى من ذلك، فحاول النهوض ليكمل القتال، وهو ما لم يحدث؛ حيث انهال "وعد" عليه بضربات سريعة متتالية على صدره، فترنح الحارس على الأرض، وانفجرت الدماء من فمه لتغرق وجه "وعد" وملابسه.

تقدم نحو الباب وضربه بقدمه بقوة فانكسر، دخل "وعد" والكلب معًا.

كان الشاب يقف في الطابق العلوى ينظر إلى "وعد" وقد ربط في كل ذراع من ذراعيه حبلًا طويلًا موصولًا ببكرة عند طرف الدرج من الجانبين، يتدلى منهما الحبل، طرف مربوط به "زين"، وفي الآخر "زينب" ، مغطاة جسديهما بمادة سريعه الاشتعال، وبأسفل كل منهما يشتعل موقد نار، فإذا سقط أحدهما أمسكت به النار وأنهت حياته فى لحظة واحدة.

تجمد "وعد" رعبًا فى مكانه من هول المنظر الذى يراه، و"زين" فاقد للوعى وزينب تصرخ به ليرحل وينجو بحياته.

نظر الشاب إليه ضاحكًا بصوت عالٍ قائلًا:

هذه هى اللحظة التى كنت أنتظرها وأُعدُّ لها منذ وقت طويل، أنت الآن أمامى تقف عاجزًا تمامًا، لا تقدر على فعل شيء، وهذا ما كنت أخطط له.

نظر إليه "وعد" بغضب قائلًا:

لماذا؟!، أنت حتى لا تعرفنى، ولا علاقة لك بأحد منا، لِمَ كل هذا الشر والتخطيط؟! لماذا؟!.

قطع صوت "وعد" صوت الكلب الذى نظر إلى الشاب بغضب شديد، وصار ينبح عليه بقوة

وصوت عالٍ، لم يسمعه "وعد" من قبل.

جحظت عيناه، ونظر للشاب بذهول وقال:

أنت لست مجرد شاب اعتقدت أنه مريض نفسي، الآن فقط فهمت كل شيء كنت تخطط له، والهدف الذى تسعى إليه، أنت المنبوذ.

فابتسم الشاب بخبث قائلًا:

أنت فتى ذكى جدًا، نعم هذا أنا، المنبوذ، أيها الطيني الحقير، أنا من خطّط وجهّز لقرون من الزمان لتدميرك أنت وأسلافك وكل عشيرتك، أنا من فضّلكم عنى وأنا أعظم شأنًا منكم، وأنا من سيدمركم حتى آخركم، ليس بالموت، بل بتدمير أنفسكم بأنفسكم، أنا فقط أفتح لكم الباب وأنتم من تكملون، وهذا كان وعدى له وهذا ما سأفعله بكم.

فى تلك اللحظة، هدأت نفس "وعد"، واطمأنت روحه، وابتسم قائلًا:

لا أعرف إن كنت قد سمعتنى أقولها قبلًا، لكنى سأعيدها عليك.

أنا أشفق عليك أيها المطرود من رحمة الخالق، فكبرياؤك وغرورك دمرك تمامًا، كل ما تفعله هذا ليس إلا شعور بالضياع، وأعلم أنك فى داخلك ربما تكون نادمًا، لكنك تتكبر على الاعتراف بذلك، فأنت

أكثرنا علمًا بالخالق، بل أنت معه من قبل أن يخلقنا، وتعلم جيدًا أنه لا يفعل شيئًا هباءً، وأن له حكمة في كل شيء يفعله، كان يمكن أن ينهيك منذ اللحظة التى عصيته فيها، لكنه خلدك إلى النهاية، وهو يعلم أنك لن تعود، وسيظل غرورك وكبرياؤك أقوى منك، ولو انتهيت أنت وعشيرتك حينها، فكيف كنا سنثبت أننا أفضل منكم وأقوى؟.

تعالت ضحكات المنبوذ، وتغيرت ملامحه، واحمر وجهه بلون الدم، واسودت عيناه، وقال:

هل تصدق نفسك أيها الفتى؟

هل تعلم مع من تتحدث؟

من أنت لتشفق علينا؟

أنت مجرد طيني ضعيف لا تقارن بنا في شيء، والآن سأثبت لك ذلك وسأدمرك تماما، أنت الآن فى وضع الاختيار الأصعب، أخوك فى ناحية وفى الأخرى حبيبتك، وسأترك الاثنين معًا، أمامك فرصة لتنقذ واحدًا فقط منهما، وسيبقى ذنب الآخر فى رقبتك حتى الموت، فأنت من تركته يموت واخترت غيره، أعلم أن الاختيار صعب عليك، ولكن أعدك أنه فى كلتا الحالتين سوف تكون النتيجة واحدة، وهى العذاب، وسيجعلك هذا تابعًا مخلصًا لى.

- أنت تتوهم ذلك أيها المنبوذ، فلو كنت قويًا فعلًا لما كنت ربطت حياتهما بيدك، أعرف أنك خائف وترتعد من داخلك، لقد ربطت سلامة كليهما بسلامتك، فإذا احترقت، سقطا واحترقا أيضًا، وهذا دليل على

ضعفك رغم أنك تدرك جيدًا أن الموت بيد الخالق وليس بيدك، ربما أكون من طين فعلًا، وأعلم أنى ضعيف، لكننى لست ضعيفًا سوى لخالقى، أما أنت فمجرد منبوذ، وأضعف بكثير من تلك الصورة التى توهم نفسك بها، فمهما فعلت لن يتغير مصيرك أبدًا، فلن تستطيع أن تتقى الخالق.

- ابتسمت "زينب" ونظرت فى عيني "وعد" وقالت:

الآن أعلم أنى سأراك وأعيش معك حياة أفضل، سأظل أحبك حتى النهاية، اختر "زين" فأنا أستحق الموت، أنا من تبعت هذا الكائن الدميم وليس زين، كن قويًا.

قاطعه المنبوذ قائلًا:

- اصمتى أيتها الطينية، ونظر إلى "وعد" وأكمل حديثه قائلًا:

هذا الحديث الطويل معك أمتعنى كثيرًا، وكنت أفضل أن نكمله، لكن هذا يكفى، فأنت مقتنع

تمامًا بما تقول، إذن فهذا الحديث بلا قيمة.

- وأنت أيضًا مقتنع بما أقول، ولكنك تخشى أن تبدو ضعيفًا؛ لذلك تجادل فى الخطأ وأنت تعلم الصواب، كنت أتمنى أن أغير فيك هذا، ولكن كما قلت أنت مسبقًا "هذا الحديث لا قيمة له".

والآن لتحترق أنت وعشيرتك أيها المنبوذ، لعنكم الله.

وفى تلك اللحظة ظهر حجر "نورجهان" فى يد "وعد"، فوضعها على فمه، وذكر اسم الخالق عليها، وألقى بها بقوة نحو المنبوذ، فتوهجت

وكأنها نجم يحترق، واستقرت فى جبهة المنبوذ، واشتعلت به النار، وتحول إلى رماد وهو يصرخ ألمًا.

سقط "زين" و"زينب" وسط صرخة "وعد" وهو يركض نحوهما قائلًا بصوت مرتفع:

- التقط "زين"

وتوجه نحو "زينب"، فقفز وأمسك بها قبل أن تلامس النار جسدها، وقفز الكلب ليبعد "زين" عن النار أيضًا ويستعيد وعيه.

فك "وعد" وثاقهما، وخرجوا من المنزل مسرعين.

اشتعلت النار فى المنزل بأكمله، وانهار مدمرًا تمامًا.

وعادوا جميعًا سالمين، وسقط "وعد" المنبوذ.

***

الخاتمة

ارتمت "زينب" فى حضن وعد، وضمها إليه بشوق وهو يلتقط أنفاسه حامدًا الله على سلامتها وسلامة "زين"، وقالت "زينب" :

وقت الشدة تعيد إليَّ ضمتك السكون فى قلبى وأرى نور الدنيا.

اقترب منهما "زين" واحتضن أخاه، وكلبه يرقص حولهم بعد انتهاء هذا الاختبار الصعب.

عاد الجميع معًا سالمين، وفي حال أفضل مما كانوا عليه، وتغير كل شيء بعدها.

ذهب "وعد" إلى والدة "زينب" ، وتحدث معها، وأوضح لها أن ابنتها كانت ضحية، ولم تكن على طبيعتها، لقد كانت ضحية لكيان قوى، لكنها تغلبت عليه فى النهاية، وعاد إليها نور حياتها.

تفهمت والدتها الأمر جيدًا، وأحبت "وعد" كثيرًا، كانت تنتظر تلك اللحظة وتدعو الله لتعود إليها ابنتها التى تعرفها.

عادت مع "وعد" متشوقة لرؤيه ابنتها، وغمرت السعادة قلب "وعد" برؤية هذا المشهد الرائع لتلك الأم التى احتضنت ابنتها بعد شوق.

استغل "وعد" هذه السعادة التى غمرت الجميع، وطلب يد "زينب" للزواج من والدتها التى رحبت بسعادة، وبكت "زينب" من فرحتها وزادت سعادتها.

تزوج "وعد" من "زينب" فى حفل كبير حضره الجميع، شفيت "زينب" من مرضها، ولم تعد للمخدرات وجود فى حياتها.. تحولت حياة "زين" للأفضل، وعوضه الله خيرًا لم يكن ليراه حتى فى خياله..

أقام "وعد" الكثير من المشروعات الاستثمارية التى أفادت البلد وكل من فيه .. عاشوا جميعًا سعداء تحت سقف من رضا الله ..

لقد جعلهم الله من عمَّار الأرض برحمة منه، وزرع النور فى قلوبهم.

***

فى مكان آخر فى عمق كهف كبير وسط جبال الصحراء البعيدة، فى مكان لم يرَه بشر من قبل وفى قلب الظلام، جاء صوت يقول:

هل انتهى الأمر هكذا يا سيدى؟!

هل دمر الطينيون هدفك وتغلبوا عليك؟!

فظهر فجأة من وسط الظلام وجه المنبوذ قائلًا:

أنا لا أنتهى أبدًا، لقد لُعنت بالبقاء إلى يوم الساعة، ووعدى كان غواية بنى البشر للنار، والتى هى مصيرنا جميعًا، ربما يكونون قد انتصروا فى هذه المعركة، لكن الحرب بيننا لن تنتهى، ستبقى هذه الحرب إلى الأبد، سأعود وأدمرهم يومًا ما، رغم أننى شعرت بأمر غريب تجاه هذا الشاب "وعد"، لقد لمس كلامه شيئًا في داخلى، لقد كدت أقتنع بكلامه، لكنه ما زال غبيًا، فوحده الغبى من يشعل فى نفسه نارًا ليضيء الطريق لقوم فقدوا بصيرتهم، سأراقبه دائمًا، على هذه الحرب أن لا تنتهى أبدا.

***

عزيزي الحظ العثر، الذى لم يفارقني طوال حياتي حتى أصبحت لي الصديق الأقرب.
لأنى لم أعرف في حياتي غيرك؛ رافقتني منذ اللحظة الأولى وحتى هذه اللحظة الحالية، نجحت في إشباع رغباتي باليأس والإحباط، وأظلمت طريقي كلما سطع به ضوء حلم جديد!
هل تحبنى إلى هذه الدرجة؟!
أم أنك تخاف الوحدة إذا وجدني الحظ الجيد، تخاف أن تصبح مهملاً من دون هدف لا يشعر بك أحد.
أريد أن أخبرك بشيء.
لقد سئمت من تتبعك لي، أنا لست الوحيد في هذا العالم الذى يمكن أن يصبح صديقك، هناك الكثير غيرى موجودون في كل مكان يفكرون بك في كل لحظة من حياتهم، وأنت بالنسبة لهم الوسيلة الوحيدة للهرب من فشلهم وكسلهم، ومن دونك لا يجدون ستارًا يختبئون خلفه من قسوة هذا العالم الذى لن يدوم طويلاً.

أحب أن أخبرك أنني لم أعد واحدًا من أتباعك بعد الآن، ولن أستسلم مجددًا لرغباتك وأهدافك، إن كان هدفك أن تجعلني ذلك التابع المخلص لك فأنا آسف كل الأسف لتخييب ظنك؛
لأنني قررت منذ هذه اللحظة أن أكون عدوًا لك، وأن أدمر كل أهدافك، أمنع رغباتك التي لا تفعل شيئًا سوى تدمير حياتي...!.